في الطريق إلى مكة المكرمة

On the way to Mecca

د. محمد رفعت أحمد زنجير

أستاذ مشارك - جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

الفجيرة – دولة الإمارات العربية المتحدة

mohdrifat@hotmail.com

الملف

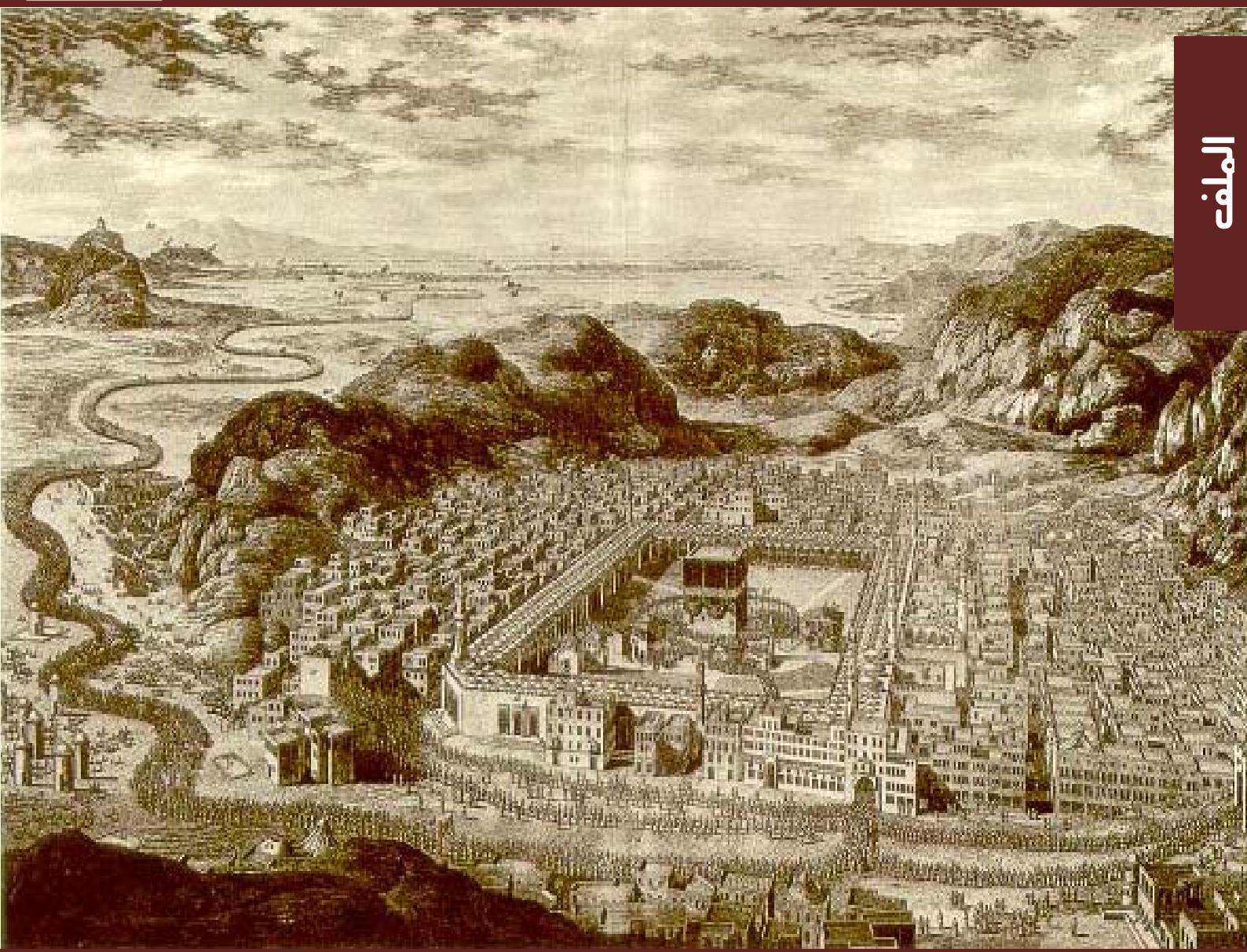

▪ **الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

محمد رفعت أحمد زنجير ، في الطريق إلى مكة المكرمة.- دورية كان التاريخية.- العدد العاشر ؛ ديسمبر ٢٠١٠. ص ٨٠ – ٩٥.

(www.historicalkan.co.nr)

موجز البحث

مكة أحب بقاع الأرض إلى الله تعالى ، وإلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، والاهتمام بمكة ومحبتها والدفاع عنها واجب على كل مسلم ، كما أن التنويه بها ، ومعرفة تاريخها ، والرفع من شأنها ، والدعوة إلى تطويرها وقد تكون هذا البحث من: مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ، كالآتي:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث وخطته.

المبحث الأول: (لماذا يجب أن نهتم بمكة المكرمة ؟) بينت فيه أهمية مكة للناس بعامة والمسلمين خاصة ، فهي ذات أهمية دينية واجتماعية وسياسية ، وجغرافية ، وإنسانية عالمية ، ولها أهمية أدبية أيضاً.

المبحث الثاني: (من خصائص البلد الأمين) ذكرت فيه أن مكة المكرمة خصها الله تعالى بخصائص عدة ، منها موقعها الجغرافي المميز ، ومناخها الذي يتناسب مع ملابس الإحرام ، وجعلها الله في واد غير ذي زرع ، حتى يقصدها الحاج مخلصاً لله تعالى ، وهي بعيدة عن مراكز الحضارة في بلاد فارس والروم ، وهذا أدعى للإعجاز وفيها البركة والرزق وماء زمزم ، وقد أثبت العلم الحديث أن مكة مركز للأرضَ.

المبحث الثالث: (مشكلات في الطريق إلى مكة المكرمة) ذكرنا هنا أن ثمة مشكلات كثيرة كانت تواجه الحجاج قديماً في سيرهم إلى مكة المكرمة ، وجدنا منها فقدان الأمن والسلامة ، وندرة الماء الصالح للشرب ، والرمال المتحركة والأعاصير ، وقلة المحطات ونقاط العلام ، والخدمات الطبية المفقودة...

المبحث الرابع: (أهم الطرق القديمة إلى مكة المكرمة) تحدثت فيه عن طرق البر والبحر القادمة من اليمن ومصر والشام والعراق ونجد والبحرين وعمان والمغرب وغير ذلك ، وذكرت أن طرق الحج مرت بمراحل كثيرة من التطوير والتعديل عبر التاريخ ، وذكرت أن الرحلة إلى الحج هي رحلة دينية علمية حضارية وبخاصة للقادمين من البلاد البعيدة.

وأما النتائج ، فذكرنا منها أن مكة بلد بالغ الأهمية لأسباب دينية واقتصادية ، واجتماعية وسياسية ، وجغرافية وإنسانية وأدبية ، وقد انفردت مكة بمجموعة من الخصائص الاستراتيجية لم تشاركها فيها أية بلدة أخرى ، وكانت هنالك كثير من المشكلات في الوصول إلى مكة عبر التاريخ ، وقد كانت هنالك مجموعة من الطرق البرية والبحرية للوصول إلى مكة المكرمة. وأما التوصيات التي نقترحها فهي: ضرورة الاهتمام بمراكز البحث العلمي في العالم الإسلامي ، وأهمية تعميق الصلة بين البدان الإسلامية ، وتفعيل دور مكة الحضاري من أجل استعادة دور المسلمين ، وأن يهتم بها الباحثون ، فهو يمثل خلاصة الحضارة الإنسانية على مر التاريخ!.

مقدمـــــــــة

الحمد لله الذي أكرم الورى ، بأن بعث إليهم رسولاً من أم القرى ، أرسله بين قوم أميين ، وجعل معجزته هذا الكتاب المبين ، وكان من أركان دينه حج البيت الحرام ، فلبى المسلمون نداءه ساعين بين الوهاد والآكام ، غير آبهين بمصاعب السفر ، ولا ملتفتين إلى تثبيط من كفر ، وكان منى قلوبهم لو دفنوا بمكة أو البقيع ، حتى ينالوا القرب من النبي الشفيع ، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فإن التاريخ ليس شيئًا ميتا ، بل هو مادة نصنع منها الحاضر والمستقبل ، وعليه فالتأمل في أحداثه ليس عبثا أو تسلية ، ولكنه عملية منهجية لدى الأمم الواعية من أجل صناعة المستقبل المستنير. والأمة الإسلامية من الأمم السباقة إلى العناية بهذا العلم عبر التاريخ ، وأول ما دون السيرة النبوية ، فلدينا كتب السيرة ابتداء من محمد بن إسحاق (ت ١٥٢هـ) وحتى يومنا هذا... وقد كان علماؤنا يسجلون الحدث ويحاولون تفسيره وتعليله في سياقه التاريخي ضمن أسبابه ومسبباته ، والسنن الكونية التي تحكم مسيرة الإنسان على سطح الأرض ، فالمهم في النهاية هو فقه التاريخ وتحليله ومعرفة ما يستفاد منه.

والجغرافيا صنوا التاريخ ، فهي علم (يدرس الأرض والظواهر الطبيعية والبشرية عليها و يعود أصل الكلمة إلى اللغة الإغريقية ، ترجمتها بالعربية وصف الأرض. فلفظ الجغرافيا Geography لفظ إغريقي هو في الأصل geographic ، مؤلف من شقين: أولها Geo ويعني الأرض ، وثانيهما Graphic ويعني الوصف أو الصورة. وعلى هذا الأساس فالجغرافيا هي "وصف الأرض " وقد كانت كذلك في بدايتها حيث كان الرحالة يصفون ويسجلون مشاهداتهم عن البلاد والأقاليم التي يزورونها ، وكلمة الجغرافية في اللغة العربية تعتبر حديثة بعض الشئ ، حيث كانت لدى العرب تعني خريطة العالم والأقاليم أو المسالك والممالك أو تقويم البلدان أو علم الطرق)[1] ، وممن صنف فيها المسعودي (ت ٣٤٥هـ) ، والإدريسي (ت ٥٦٠هـ) ، وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان (ت٦٢٦هـ) ، وغيرهم كثير.

وفي البحث الموسوم بـ: (في الطريق إلى مكة المكرمة) يتداخل العلمان: التاريخ والجغرافيا ، حيث يفسر التاريخ بداية هذه الطرق وتطورها ، وتتحدث الجغرافيا عن وصف هذه الطرق ونقاط انطلاقها وعبورها ومحطاتها حتى تصل إلى مكة ، ومع التاريخ والجغرافيا يمتزج علم ثالث هو الحضارة الإنسانية في سالف الأزمان ، والتي تتقاطع مع التاريخ والجغرافيا خلال الرحلة إلى مكة ، وعليه فإن هذا البحث في غاية الأهمية لاستكشاف الماضي ووعي الحاضر ، واستشراف المستقبل من خلال ذلك كله.

ومن حسن الحظ أن تقام الندوة الدولية حول طرق الحج الآسيوي. بكوالامبور ، وذلك في إطار الاحتفاء بكوالامبور ، عاصمة للثقافة الإسلامية لسنة ٢٠٠٩م ، حيث تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- بالتعاون مع الأرشيف الوطني في ماليزيا ، ندوة إقليمية حول طرق الحج الآسيوي ، في المدة من ١٥ إلى ١٧ ديسمبر ٢٠٠٩م. ورغبة مني بالمشاركة في هذه الندوة الدولية ، فقد قمت بإعداد هذا البحث راجياً من الله تعالى أن يسهم في تعميق المعرفة والروابط بين العرب والمسلمين ، ولا سيما أني قد عشت بمكة المكرمة وكوالامبور ، وأعرف عن كل منهما الشيء الكثير ، ولهما في النفس ذكريات محببة.

المبحث الأول: لماذا يجب أن نهتم بمكة المكرمة ؟

لمكة أهمية دينية واقتصادية واجتماعية وسياسية وجغرافية وإنسانية عالمية وطبية وأدبية أيضاً ، توجب على البشر عموماً ،

والباحثين خصوصاً معرفتها والاهتمام بها ، وهو ما سنتناوله بإيجاز في هذا المبحث. أما أهميتها الدينية فلأن شعيرة الحج وهي الركن الخامس من أركان هذا الدين مرتبطة بها ، كما أن الصلاة لا تكون إلا نحو كعبتها ، وبهذا يكون الركن الأعظم من أركان هذا الدين وهو الصلاة مرتبط بها ، فالمسلم يصلي باتجاها ، ولا يكتمل دينه إلا إذا جاءها حاجاً ولو مرة في عمره.

القول في وجوب الحج على العالمين

فرض الله الحج على عباده ، وجعل فيه فوائد كثيرة لهم ، منها فوائد روحية كغفران الذنوب وستر العيوب ، ومنها إنسانية كالتعارف وإطعام الفقراء والمساكين لحوم الأضاحي ، ومنها اقتصادية كالتبادل التجاري ، ومنها سياسية كي تتعاضد الأمة في قضاياها المصيرية ، ومنها علمية كلقاء أهل العلم والسماع منهم... وفي هذا الصدد قال تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (سورة الحج: الآيات ٢٦-٢٩).

والكعبة أول بيت وضعه الله منذ عهد آدم عليه السلام ، وقد جدد بناءها إبراهيم عليه السلام ،وحجها واجب على جميع الخلق ، قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: الآيتان ٩٦-٩٧).

وللحج أشهر خاصة ووقت معلوم ، وله شعائر معينة منها الوقوف في عرفات ، ثم الانتقال منها إلى المشعر الحرام (مزدلفة) ، وله آداب ثابتة يتخلق بها المؤمن ، وله أدعية مأثورة يتقرب بها العبد إلى ربه ، قال تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (سورة البقرة ، الآيات: ١٩٧-٢٠٣).

وأركان الحج الأساسية أربع: الإحرام ، والوقوف بعرفات ، وطواف الإفاضة ، والسعي بين الصفا والمروة ، وقد ذكر الله الصفا والمروة في قوله عز وجل: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة: الآية ١٥٨).

الإسلام دين اليسر

الإسلام دين اليسر في عباداته ومعاملاته وتشريعاته كلها ، واليسر يبدأ من الصلاة ، فشرع قصرها وجمعها للمسافر ، وأجاز أن تكون قعوداً للمريض أو على جنب... واليسر ليس مقصورا على الصلاة ، وهي عماد الدين ، وإنما ينسحب على بقية أركان الدين ، فالزكاة لا تجب على من ليس لديه النصاب ، والصيام لا يجب على المريض المزمن ، ويمكن له أن يدفع فدية طعام مسكين ، وكذلك المسافر والحائض والنفساء يصومون في غير رمضان ، وأما الحج فهو لمن استطاع إليه سبيلا ، فمن لم يستطع أناب غيره ، وإذا لم يكن لديه المال والصحة فيعفى منه ، ونذكر هنا بأن محيي السنة الإمام البغوي صاحب كتاب مصابيح السنة وكتاب شرح السنة وغيرها من الكتب النافعة مات ولم يتمكن من الحج ، وكذلك الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي شغله جهاد الصليبيين عن حج بيت الله الحرام ، وكان قد نوى أن يحج فعاجلته المنية ، وغيرهما كثير من علماء وأعيان هذه الأمة ممن لم يتمكنوا من الحج لبعد المكان أو ظروف شاغلة ، أو عدم الاستطاعة ، وهذا يدل على أن هذه الشريعة هي شريعة ميسرة ، تراعي مصالح الإنسان وضعفه وظروفه في كل زمان ومكان.

الحج أعظم تجمع إنساني

ليس هناك ثمة تجمع عالمي لكافة أشكال البشر من شتى أصقاع الأرض مثل الحج ، وهو تجمع لأجل الله عز وجل وحده ، ولا عجب أن يقابل الله تعالى هذا التجمع برحمته وغفرانه ، فهذه هي ضيافته الكبرى لهم ، وقد روت عائشة ، أن رسول الله .صلى الله عليه وسلم . قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول: ما أراد هؤلاء). رواه مسلم.[٢]

ما أكثر المنتديات التي يلتقي بها الناس في شتى المناسبات! فهم يلتقون في الأعياد والأفراح والأتراح ، وقد أتاح لهم التقدم التكنولوجي الذي تعيشه المعمورة في هذه الأيام أن يلتقي أهل المشرق بأهل المغرب لحضور حفل أو متابعة بطولة كروية أو نحو ذلك من المهرجانات والكرنفالات ، ولكن هذه التجمعات تبقى محصورة بفئات معينة من الشباب أو الأغنياء أو الهواة... وليس لزاما على كل واحد من الناس أن يحضرها ، ويستفيد الحاضر المتعة بشكل مباشر ، وغالبا ما تقام هذه المناسبات في أماكن سياحية لجلب الحضور ، ويتوفر فيها شتى المغريات! بيد أنه لم يحدث أن التقى الناس من شتى بقاع الأرض لقاء إلزاميا على الرجل المستطيع والمرأة المستطيعة ، في سن الشباب أو الشيخوخة ، التقوا على صعيد واحد ، في أرض جرداء ، بملابس بيضاء ، لغير هدف دنيوي ، أو كسب مادي ، منفقين أموالهم ، تاركين أعمالهم ، متحملين لعناء السفر ، إلا في مكان واحد يتجدد لقاؤهم فيه كل عام وهو أرض عرفات الطاهرة. اللقاء في الحج هو لقاء التجرد فوق المصالح والمطامع ، وفوق الأهواء والشهوات ، تنصهر فيه الأعراق ، وتتوحد فيه اللهجات ، وتتصافى فيه القلوب ، وهي تدعو بدعاء واحد ، لا لغط فيه ولا صخب: لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك. فما أعذبه من دعاء وما أطيبه من نشيد ، فلا سيادة في ذلك الموقف لغير الحق ، ولا تقديس لغير الله ، تتهاوى في ذلك الموقف كل الفروقات بين الناس ، وكأنهم جميعا أسرة واحدة ،

أبوها آدم وأمها حواء ، عقيدتها التوحيد ، وربها العزيز الحميد ، ونبيها سيد الوجود ، وقرآنها دستورها الخالد ، وغايتها رضاء الحق عز وجل ، فيجتهد المطيع بالقربى ، ويجتهد المقصر بالتوبة ، والجميع يستغفرون ويتعاونون ، ويتحملون ويصبرون ، تجري دموعهم على خدودهم ، وتنطلق الآهات من قلوبهم ، في مشهد يكاد يشبه يوم القيامة ، فتتنزل رحمات الله على عباده ، ويكلؤهم بعنايته وغفرانه ، ويتوب عليهم أجمعين ، ويباهي بهم ملائكته ، فليس أهل السماء وحدهم منفردين بالطاعة ، بل إن في الأرض من يضاهيهم بفعلها إلى قيام الساعة ، وإذا كان الرب سبحانه يباهي بضيوفه من الحجيج الذي تجردوا له ، وأتوه طائعين ملبين ، فيحق لأهل تلك البلاد المقدسة أن يباهوا أيضا بمكة والبيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وجعل الأفئدة تهوي إليه من كل فج عميق.

و لها أهمية اقتصادية لأنها طريق القوافل من الشام إلى اليمن ، وكان هذا من قبل الإسلام واستمر بعد ظهورالإسلام ، وقد امتن الله على قريش بما رزقهم من وفرة اقتصادية وأمن جنائي ، ودعاهم لعبادته وحده جزاءً لما حباهم من نعم ، قال تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (سورة قريش: الآيات ١-٤).

ولا تزال مكة حتى اليوم سوقاً للعرب ولأهل الحجاز خاصة ، وتستفيد من موسمها كثير من الدول المجاورة والجاليات الإسلامية حول العالم عن طريق الاستيراد والتصدير منها وإليها.

ولها أهمية اجتماعية ، فالمجتمع المكي مزيج من جنسيات كثيرة ، ولكل منها سماته الخاصة وعاداته وتقاليده ، ويستطيع المرء أن يتعرفف على الأمة الإسلامية كلها من خلال أهل مكة.

كما يستطيع المرء أن يتعرف على عادات المسلمين عموماً وسماتهم الاجتماعية ، حيث الحجاب منتشر ، والفصل في التعليم بين الجنسين قائم ، وإطعام الفقراء والمساكين وبخاصة في رمضان على موائد الحرم ، وهذا مما يدل على الكرم المتأصل في بلاد المسلمين ، كما يستطيع المرء أن يتعرف على بعض العادات السلبية أيضاً ، والتي انتشرت في بلاد المسلمين ، مثل مقاهي الشيشة والتنباك ، والجلوس في الطرقات... وباختصار مكة هي صورة مختصرة للمجتمعات الإسلامية كلها بإيجابياتها وسلبياتها ، ويستطيع الباحث التعرف على المسلمين من خلالها ، ولو كانت بعض الظاهر تتفاوت من مجتمع لآخر أحياناً.

وهنالك فائدة اجتماعية أخرى تعود على من قصد الحج ، وذلك وذلك عندما يعود الحاج إلى وطنه ، وبستقبله الناس ، ويمنحهم الهدايا ، مما يعزز الروابط الاجتماعية.. وكان من عاداتهم حسن استقبال الحجاج ، وربما انتظروهم على مشارف المدن ، فيقوم الحاج بإكرام مستقبليه ببعض الهدايا ، كعود من أراك ، أو جرعة من ماء زمزم ، أو بعض من تمرات المدينة ، وفي حال قصر في ذلك انتقده الناس ، ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حيان الضرير حين لم يهد الحجاج إليه شيئاً:[٣]

كأنَّ الحجيجَ الآن لم يقربوا مني
ولم يحملوا منها سواكاً ولا نعلا
أتونا فما جادوا بعود أراكـةٍ
ولا وضعوا في كف طفلٍ لنا نقلا

ولمكة أهمية سياسية ، حيث يؤمها كثير من الملوك والرؤساء والمسئولين من شتى أصقاع العالم الإسلامي ، وبلتقون فيما بينهم كما يلتقون مع القيادة الساسية المحلية في المملكة العربية السعودية ، ويكون اللقاء فرصة للتعاون والتنسيق فيما بينهم. كما تؤم مكة أيضاً كثير من وفود الشعوب المقهورة التي احتلت أراضيها ، أو تعرضت لنكبات وكوارث طبيعية أو إنسانية ، فتجد في رحابها الأمن والأمان ، والدعم والإحسان.

وقد كان الملوك والأمراء وعلية المسلمين يتقربون إلى الله تعالى بأعمال البر بمكة ، فيكرمون الناس ، ويستصحبون الأطعمة والثلج ليوزع في عرفات ، ففي سنة (٣٨٦هـ) مثلاً ؛ حجت الأميرة جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة الحمداني ، فصارت تاريخاً مذكوراً ، قيل: إنها سقت أهل الموسم كله السويق بالطبرزد والثلج ، واستصحبت البقول المزروعة في المراكن على الجمال ، وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ، ولم تستصبح فيها وعندها إلا بشموع العنبر ، وأعتقت ثلاثمائة عبد ، ومائتي جارية ، وأغنت الفقراء والمجاورين.[٤] هكذا يعزز الحج التواصل فيما بين ملوك وأمراء العالم الإسلامي من جهة ، وبينهم وبين شعوبهم من جهة أخرى ، مما يزيد من اللحمة الداخلية بين المسلمين.

ولمكة أهمية جغرافية ، فهي في منتصف العالم ، ومركز اللأرض اليابسة ، وسنتحدث عن هذا في المبحث الثاني. ولمكة أهمية إنسانية عالمية ، فهي بلد الإنسان أياً كان موطنه ولونه ومهنته ، وفيها جاءت شريعة الله تعالى تنادي بمبادئ العدل والأخوة بين الناس ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات: الآية ١٣).

وقد كبر على المشركين ما في الشريعة الإسلامية من مساواة بين العباد ، فطلبوا من الرسول .صلى الله عليه وسلم .أن يطرد العبيد والمستضعفين من عنده كخطوة أولى حتي يفكروا في مشروع الدخول في الإسلام ، وكان الرسول .صلى الله عليه وسلم . يطمع في إيمانهم ، فرفض الله منهم ذلك ، كما رفض أن يكون لعلية القوم مجلساً خاصاً بهم دون السوقة والعبيد! ، وسوى بين جميع عباده في الإيمان ، وطلب من نبيه .صلى الله عليه وسلم .أن يبشر المؤمنين به وفي جملتهم هؤلاء المستضعفين بالجنات إذا كان سلوكهم مستقيماً ، فالعبرة بالسلوك وليست بالمراكز الاجتماعية!! ، قال تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ، وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة الأنعام ،الآيات ٥٢-٥٤).

وما من أمة من الأمم إلا ولها من سلفها سابق إلى هذه الدعوة الإنسانية العالمية ، فبلال سابق الحبشة ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس... وإن وجدت أمة في أقصى الأرض وليس لها سلف في الجيل الأول فلا بد ان تجد لها سلفا في جيل التابعين لهم بإحسان ، وبهذا تكون مكة للناس جميعاً ، وأهميتها للبشر على السواء فيما بينهم!.

ولمكة أهمية طبية ، فهي علاج لأمراض البدن والروح ، فإذا وصل الحاج إلى مكة ، وكحل عينيه برؤية الكعبة المعظمة ، وشرب من ماء زمزم ، تحققت أحلامه ، ونسي آلامه التي عاناها خلال الرحلة ، وقد يستشفي بماء زمزم لآلامه الجثمانية أو النفسية ، قال الثعالبي: (ويقال إنه .أي: ماء زمزم .: أثر جبريل عليه السلام ، فإنه لما شُربَ له ، ومن يُحصي فضائله ؟! فكم من مُبتلى قد عُوفي بالمقام عليه والشرب منه والاغتسال به ؟! بعد أن لم يدع في الأرض ينبوعاً إلا أتاه ، واستنقع فيه! ، وكم من متزودٍ منه في القوارير إلى أقاصي البلدان لدوائه ، وغاسلٍ ثيابه بمائه ، لما يرجوه من بركته ، وحسن عائدته ، قال الأعشى وهو يؤنب رجلاً ويخبره أنه مع شرفه لم يبلغ مبلغ قريش الذين هم سكان حرم الله ، ولهم حظ الشرب من ماء زمزم:

فما أنت من أهل الحجونِ ولا الصفا
ولا لك حظ الشربِ من ماء زمزمِ[٥]

وأما حين يعود الحاج إلى وطنه ، فإنه يعود منشرح الصدر مسرورا بأداء المناسك ، منفكاً من عقد الذنوب والآثام ، طاهراً نقياً كحاله يوم ولدته أمه ، وقد صور ذلك كثير عزة فقال:[٦]

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ
ومسَّحَ بالأركان من هو ماسحُ
وشُدت على دهمِ المهارى رحالنا
ولم ينظرالغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الحديثِ بيننا
وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

هكذا تنساب الإبل في الصحراء ، من كل أبطح كانسياب الماء العذب ، متجهة إلى أوطانها ، محملة بالهدايا إلى الأهل والأصدقاء ، وقد امتلأت نفوسُ ممتطيها بالسعادة والفرح الذي تظهر ملامحه من خلال أحاديثهم التي تفيض بالأنس والابتهاج.

ولمكة أهمية أدبية أيضاً ، فلم ينس شعراء العروبة والإسلام أن يقنصوا منها ومن جبالها ووهادها ، وصفاتها وأحوالها صوراً شعرية لهم ، وكيف لا تكون لها أهمية شعرية وعلى مقربة منها كانت تقوم سوق عكاظ ملتقى شعراء العرب في الجاهلية ، ثم جاء الإسلام فعزز من كانت الأدب والبيان ، واعتبره الله من نعمه على هذا الإنسان ، قال تعالى: (الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (سورة الرحمن: الآيات ١-٤). كما جعل القرآن معجزة لنبيه .صلى الله عليه وسلم .بلسان مبين ، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (سورة النحل: الآية ١٠٣).

ومما اقتنصه الشعراء من الصور ما أوحت به إليهم ظباء مكة التي يضرب بها المثل في الأمن ، لكونها في الحرم الآمن الذي حرم الله فيه الصيد ، وقد وجد الشاعر صردر مشابهة بين ظباء الإنس التي يهواها ، وتذهب جهوده في الوصول إليها أدراج الرياح ، لما يحيط بها من حراسة وصون ، وبين ظباء مكة التي لا يمكن صيدها!. يقول:[٧]

ما خلتُ غِزلانَ اللِّوى *** كظباءِ مكةَ لاتُصادُ

وقد امتد تأثر الشعراء من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، إلى المشاعر المقدسة ، فالبحتري يمدح مالك بن طوق[٨] ، الذي يتمتع جاره بالأمن والرعاية ، ويلقى العزة والمناعة ، ويرقى إلمنزلة رفيعة ، وكأنه ينزل بين السماكين أو في ساحة الحرم!.يقول:[٩]

كأنما جارُهُ من عزِّ جانبهِ *** بينَ السماكينِ أو في ساحةِ الحرمِ[١٠]

والحرم مكان العبادة الآمن ، قال تعالى: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: بعض الآية٩٧).

وكان العرب يجلون أمر اللجوءِ إليه ، قال الزمخشري: (وكان الرجل لو جر كل جريرة ، ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب)[١١] ، ولذلك صارت ساحة الحرم ملاذاً للناس ، لما فيها من أمن وأمان ، فهي لاتقل حصانة عن النجوم ومايحيط بها من فضاء ، فأي عز لمن نزل فيها ؟! ، وأي مجد لذاك الممدوح الذي يتمتع جاره بحصانة كأنه في السماء أو في ساحة الحرم ؟! ، فلا تطوله أيدي الناس ، ولا يحيط به مكرهم!.

وفي الحرم بئر زمزم المباركة ، كما أن فيه الحطيم ، وهوجزء من الكعبة ، وهذه الآيات البينات لم تكن لتغيب عن أذهان الشعراء وأخيلتهم ، فالسري الرفاء لدى وصفه دار عبد الله بن محمد الفياض الكاتب بحلب ، يستعظم تلك الدار الضخمة ، وكان الشعراء يطوفون حولها ، وقد خلبت أبصارهم ، كطوافهم عند الكعبة بين زمزم والحطيم!. يقول:[١٢]

ودارٌ شُيدتْ بعظيمِ قدْرٍ
يهينُ كرائمَ النشَبِ العظيمِ
يطوفُ المادحونَ بعَقْوَتيْها
طوافَهُمُ بزمزمَ والحطيمِ[١٣]
تقاصرتِ القصورُ لها فأضحتْ
وقد طُلْنَ الكواكبَ كالرسومِ

والكعبة المعظمة هي مركز الحرم ، وفيها الحجر الأسود ، وبقربها مقام إبراهيم ، وقد استمد التهامي من الكعبة والركن والمقام تشبيهه لقبيلة طيئ ، وللأمير حسان بن مفرج الطائي ، فقال يمدحهما:[١٤]

ألا إنَّ طياً للمكارمِ كعبةٌ *** وحسانُ منها رُكْنها ومَقَامُها

فطيئ هي كعبة المكارم بين القبائل ، وحسان في أكرم موضعين من تلك الكعبة ، وهما الركن الملثوم بالشفاه ، والمقام الذي تعفر عنده الجباه ، وبهذا التشبيه جمع الشاعر بين حق القبيلة وحق الممدوح ، وأنزل كلاً منهما المنزلة التي تليق به!.

هكذا كانت مكة ملهمة لأخيلة الشعراء على مر العصور ، وما قدمناه غيض من فيض ، وليس سوى مجرد صوى في الطريق ، وإلا فالبحث المفصل يحتاج دراسات مستفيضة ليس موضعها هنا. وصفوة القول: إن لمكة أهمية دينية ، فهي مركز الحج ، وفيها قبلة الصلاة ، ومنها أشرق فجر الإسلام ، ولها أهمية اقتصادية ، فهي سوق تجاري لأهل الحجاز والجزيرة العربية والدول المجاورة لها ، ولها أهمية اجتماعية لأن أهلها مزيج من جنسيات كثيرة ، ولكل منها عاداته وتقاليده ، ويستطيع المرء أن يتعرف على المجتمعات الإسلامية كلها من خلال أهل مكة.

ويؤم كثير من الملوك والرؤساء وبلتقون فيما بينهم ، ويكون اللقاء فرصة للتعاون والتنسيق وهذا جزء من أهميتها السياسية ، كما تؤمها أيضاً كثيرمن وفود الشعوب المقهورة فتجد في رحابها الأمن والأمان. وتقع مكة في مركز الأرض اليابسة وهذا جزء من أهميتها الجغرافية. وهي بلد الإنسان أياً كان موطنه ولونه ومهنته ، وفيها جاءت شريعة الله تعالى تنادي بمبادئ العدل والأخوة بين الناس وهذا يمنحها أهمية إنسانية عالمية... وكانت مكة ملهمة لأخيلة الشعراء على مر العصور ، مما يعطيها أهمية أدبية أيضاً.

وبلد تلك مزاياه وخصائصه خليق أن يهتم به الباحثون ، ويقصده المؤمنون ، ويبحث عنه الإعلاميون الصادقون ، فهو يمثل خلاصة الحضارة الإنسانية على مر العصور ، وهو يحوي العالم بكل ما فيه بشكل مصغر ، ومن هنا تنبع أهميتها عبر التاريخ إلى قيام الساعة!.

المبحث الثاني: من خصائص البلد الأمين

لما كانت مكة أم القرى ، فقد اختار الله لها موقعاً مميزاً ، فجعلها في قلب الجزيرة ، بعيدة عن جيوش الروم والفرس ، حتى تبقى آمنة من الغزو والسلب ، فلما أراد طاغية من الحبشة أن يهدم كعبتها ، ولم يكن لأهلها طاقة في دفعه تدخلت السماء للذود عنها ، وقد تعهد الله بحمايتها بنفسه ، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الحج:٢٥).

وقد سماها الله بأسماء كثيرة ، فهي مكة وبكة والبلد الحرام والبلد الأمين وأم القرى ، ولكل من هذه الأسماء دلالته ، والواجب على زائرها أن يحترم قدسيتها ولا يفرط بأمنها ، ولا يعضد شجرها ، ولا يقتل صيدها ، فكل ما في الحرم فهو آمن. ولموقعها الذي اختاره الله تعالى خصائص متعددة ، منها ما يلي:

أولاً: وجودها بين الجبال جعلها في مأمن من الزلازل ونحوها ، لأن الجبال أوتاد الأرض ، وجعلها مهيبة تتناسب وجلال النبوة والوحي ، وحماها من الرمال الجارفة التي قد تطمرها في ما لو كانت مكشوفة في الصحراء ، فتمحى آثارها ، ولا يعرف الناس سبيلاً إليها.

ثانياً: إن مكة قريبة من البحر ، فلا تبعد عن جدة أكثر من ثمانين كيلو متراً ، وهذا يسهل الوصول إليها عبر البر والبحر ، قال تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (المائدة:٩٦). ولو كانت مكة في أي موقع آخر بعيد عن البحر لتعذر الوصول إليها إلا عن طريق الإبل ، وهذا فيه مشقة على الناس وتعريضهم للخطر نظراً لندرة المياه في الجزيرة ، وعدم توفر أسباب الأمن فيها قبل الإسلام.

ثالثاً: جو مكة حار في نصف العام ومعتدل في نصفه الآخر ، وهذا الجو يتناسب مع ملابس الإحرام ، ولو كانت بلداً بارداً لتعذر ذلك.

رابعاً: جعلها الله في واد غير ذي زرع ، حتى يقصدها الحاج مخلصاً لله تعالى ، ولو كانت ذات حدائق لاختلط القصد عند بعضهم بالسياحة ، وقد أراد الله من الحاج أن يتجرد له ، فأمره بخلع ملابسه ولبس الإحرام ، وحرمه من أطيب اللذات ، وهما: الطيب والنساء ، فكيف يريده متجرداً له ، ثم يقيم له الحدائق الغناء ، والأنهار العذبة ، والطبيعة الفاتنة التي ستلهيه عن ذكر الله ، ولذلك ساعد الله عباده بأن جعلها بواد غير ذي زرع لكي لا يشغل أنظارهم وأفئدتهم سحر الطبيعة الغناء ، فيكون القصد خالصاً لوجهه الكريم. والإخلاص لله تعالى مطلوب في كل الأعمال والأحوال ، ومن ذلك في شعيرة الحج ، ولا بد أن يصحب الإخلاصَ صوابُ العمل ، ومن صوابه في رحلة الحج أن يكون الحج من مالٍ حلالٍ ، وقد جسد هذا المعنى أبو الشمقمق فقال:[١٥]

إذا حججتَ بمالٍ أصله دنسٌ
فما حججتَ ولكنْ حجت العيرُ
ما يقبل اللهُ إلا كـلَّ طيبةٍ
ما كل من حجَّ بيت الله مبرور

خامساً: ومكة بعيدة عن مراكز الحضارة في بلاد فارس والروم ، وأهلها أميون ، وكان بعض العرب يدفعون الضرائب للأمم الأخرى اتقاء لشرها ، فكيف يعقل أن تخرج شريعة ذات قوانين تعلم الناس قواعد الحضارة والتعايش السلمي من قلب الصحراء؟ إنها النبوة ولا احتمال غير هذا ، وخروج الشيء من غير موضعه المعتاد أظهر لقدرة الله تعالى ، ودليل على أن معجزة ما قد حصلت ، وقد أقر بهذا هرقل عظيم الروم في حديثه مع أبي سفيان ، وذكر بأن محمداً هو نبي آخر الزمان ، وهذا من فضل الله على أهلها والعرب ، قال تعالى يتحدث عن النقلة النوعية للعرب بفضل الإسلام: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:٢).

سادساً: وإذا كانت مكة في بلد غير ذي زرع ، فهذا قد يقتضي جوع أهلها ، ولكن أنى يجوعوا وقد دعا لهم إبراهيم عليه السلام بالرزق ، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (البقرة:١٢٦)، وهذا الدعاء معجزة باقية متحققة إلى يوم القيامة ، والبلد الفقير لا تكاد تجد فيه ما يسد الرمق ، ولكن الله هيأ لأهلها أسباب الرزق والتجارة ، فلا تعدم شيئاً إلا وجدته بمكة ، أليس هذا دليلا على فضل الله ورعايته لأهلها؟

سابعاً: وأما ماء زمزم فهو الشفاء لكل داء بإذن الله تعالى ، وهو أمر مجرب ، قال الشاعر:

يا منْ يعاني ... همه الأســقامُ
وتذيقه مرَّ الأسى الأيـــامُ
اهرعْ لزمزم فارتشفْ من بيرها
تلقى المنى .. وكـأنكَ الضرغامُ
والله قدْ جعلَ الشفاءَ بمائِهـا
فتحققتْ من فضلهِ الأحــلامُ

وبقاؤه حتى يومنا هذا دليل على الكرم الإلهي الذي لا ينفد ، ويندر أن تجد بئراً في الصحراء لا تنضب عبر آلاف السنين مع شرب الألوف منها.

ثامناً: وأثبت العلم الحديث أن مكة مركز للأرض ، ولما كانت مركزاً استحقت أن تكون قبلة لأهلها أيضاً ، وقد نشرت مجلة العلم والإيمان الليبية مقالات عدة بهذا الخصوص[١٦]. فطوبى لأمة هذه بعض مزايا قبلتها ، وطوبى لمن سكن بلدة هذه بعض خصائصها ، وطوبى لمن زارها حاجاً أو معتمراً يطلب عفو الله وغفرانه إلى يوم الدين.[١٧]

والخلاصة أن مكة المكرمة خصها الله تعالى بخصائص عدة ، وموقع جغرافي مميز ، فمن ذلك وجودها بين الجبال جعلها في مأمن من الزلازل ونحوها ، وكون مكة قريبة من البحر ، فلا تبعد عن جدة أكثر من ثمانين كيلو متراً ، وهذا يسهل الوصول إليها عبر البر والبحر ، ومناخ مكة حار في نصف العام ومعتدل في نصفه الآخر ،

وهذا الجو يتناسب مع ملابس الإحرام ، وجعلها الله في واد غير ذي زرع ، حتى يقصدها الحاج مخلصاً لله تعالى ، ومكة بعيدة عن مراكز الحضارة في بلاد فارس والروم ، وأهلها أميون ، فكيف يعقل أن تخرج شريعة ذات قوانين تعلم الناس قواعد الحضارة والتعايش السلمي من قلب الصحراء ؟ إنها النبوة ولا احتمال غير هذا ، وإذا كانت مكة في بلد غير ذي زرع ، فهذا قد يقتضي جوع أهلها ، ولكن أنى يجوعوا وقد دعا لهم إبراهيم عليه السلام بالرزق ، وأما ماء زمزم فهو الشفاء لكل داء بإذن الله تعالى ، وهو أمر مجرب ، وأخيراً فقد أثبت العلم الحديث أن مكة مركز للأرض ، ولما كانت مركزاً استحقت أن تكون قبلة لأهلها أيضاً ، وهذا من فضل الله على العالمين.

المبحث الثالث: مشكلات في الطريق إلى مكة المكرمة

لم تكن الطريق إلى الحج رحلة سهلة ، بل هي رحلة محفوفة بالمخاطر ، أو قل هي رحلة حياة محفوفة بالموت! ، أو رحلة موت محفوفة بالحياة! ، فالذاهب فقيد ، والعائد بالسلامة وليد! ، ومن المشكلات الكثيرة التي كانت تواجه الحجاج قديماً في سيرهم إلى مكة المكرمة الآتي:

أولاً : الأمن وسلامة الطريق إلى بيت الله الحرام

الأمن من مقاصد الشريعة ، وهو قوام الحياة والدين ، ولقد سعت الشريعة إلى الأمن الشامل: االأمن لفكري بحفظ الدين والعقل ، والأمن الاجتماعي بحفظ العرض ، والأمن الاقتصادي بحفظ المال ، والأمن الجنائي بحفظ النفس[١٨] ، وشرعت قوانين صارمة لحماية الأمن ، من ذلك ما جاء في عقوبة المفسدين في الأرض ، قال تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أن يُقتلوا أو يُصلبوا) (المائدة: بعض الآية ٣٣). قال أبو السعود: (وأصل الحرب: السلب ، والمراد ههنا قطع الطريق).[١٩]

لقد عززت الشريعة الإسلامية القوانين التي تحمي الحضارة والأمن والمدنية قبل أن يعرفها أهل زماننا بأربعة عشر قرناً ، وذلك لأن رعاية هذه القوانين وإقامتها لهو مما يؤمن للبشرية الأمن والرخاء والسعادة في الدنيا والآخرة.

والطريق إلى بيت الله الحرام كانت عبر العصور الماضية شاقة غير سالكة في بعض الأحيان ، وذلك بسبب الفتن والمؤامرات والانشقاقات التي تحدث بين فترة وأخرى داخل الدولة من قبل جماعات متطرفة أو خارجة على القانون كالقرامطة مثلاً ، ففي سنة (٣١٧هـ) قام أبو طاهر القرمطي بالزحف على مكة ، وقتلَ الحجاجَ (يومَ التروية ، وهم يهلون ويلبون ، وقتل الحجاجَ في فِجاجِ مكة ، وداخل البيت الحرام وهم متعلقون بأستاره ، ويقال: إنه قتل منهم نحو عشرة آلاف! ، طُرح كثير منهم في بئر زمزم ، وعَرَّى البيتَ من كسوتِه ، وقلع بابه ، واقتلعَ الحجرَ الأسودَ ، وأخذه معه إلى هجر... ونهب جميع التحف التي زين بها الخلفاء الكعبة على مر الأزمنة... ولم يحج أحد منذ هذا التاريخ حتى سنة (٣٢٦هـ) خوفاً من شره وشر أتباعه من القرامطة).[٢٠]

وقد يتعثر الوصول إلى بيت الله الحرام بسبب قطاع الطريق ، هؤلاء الذين تحدث عنهم أبو حامد الغزالي وذكر ما يوقعونه من الرعب في قلوب الحجاج ، هذا الرعب الذي لا شبيه له إلا سؤال الملكين في وحشة القبر ، فقال: (وأما دخول البادية إلى الميقات ، ومشاهدة تلك العقبات ، فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة ، وما بينهما من الأهوال والمطالبات ، وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي).[٢١] فأي هول ذاك الهول الذي يشبه سؤال الملكين ؟! وكم هي الصعوبة في الوصول إلى حرم الله الآمن ، وقد نصب قطاع الطريق من حوله شراكهم ؟! والعجب من الإمام الغزالي كيف جعل الخللَ الأمني وسيلة اعتبار للآخرة! ولم يناد بضرورة تطهير البلاد وتأمين العباد من عناصر الشر والفساد ، وهو المصلح الاجتماعي العظيم!.

ولقد استمر انعدام الأمن حتى نهاية الدولة العثمانية تقريباً ، فحين أقامت الدولة العثمانية الخط الحديدي الحجازي ، لم تنس أن تقيم (محطات على طول الخط ، وكان يفصل بين كل محطة وأخرى زهاء عشرين كيلو متراً ، وكانت المحطات تستخدم أيضاً قلاعاً لحراسة الخط الحديدي وأسلاك البرق ومكاتب الموظفين ، ومساكنهم من غارات البدو).[٢٢] (وكان الوقت الذي يستغرقه القطار في التحرك من دمشق إلى المدينة اثنتين وستين ساعة فقط ، أما بقية الوقت فكان يضيع في وقوف القطار في المحطات ، وتغيير القاطرات ، وتجنب السير ليلا في الليالي غير القمرية ، أخذاً بأسباب الحذر من هجوم قبائل البدو على عربات القطار).[٢٣]

فإذا كانت الدولة العثمانية وهي من أقوى دول العالم في عصرها لا تأمن الغارات ؛ فكيف تأمنها قوافل الحجاج والمسافرين الذين يأتون على ظهور الإبل ؟!. والسبب في قطع الطريق ، أن بعض البدو قد عادوا إلى جاهليتهم ، فسلبوا الحجاج وقتلوهم ونهبوهم ، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في وصف حال البدو في زمانه: (إن العلماء في زماننا يقولون: من قال لا إله إلا الله. فهو المسلم ، حرام المال و الدم ، لا يُكفر ولا يُقاتل ، حتى إنهم يصرحون بذلك في شأن البدو الذين يكذبون بالبعث ، وينكرون الشرائع ، ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله ، ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات ، بل من حيث الجملة: إنهم يكفرون بالقرآن من أوله إلى آخره ، ويكفرون بدين الرسول كله ، مع إقرارهم بذلك بألسنتهم وإقرارهم أن شرعهم أحدثه آباؤهم لهم كفراً بشرع الله ، وعلماء الوقت يعترفون بهذا كله ، ويقولون: ما فيهم من الإسلام شعرة ، وهذا القول تلقفته العامة عن علمائهم ، وأنكروا به ما بينه الله ورسوله ، بل كفروا من صدق الله ورسوله في هذه المسألة ، وقالوا من كفر مسلماً فقد كفر ، والمسلم عندهم الذي ليس معه من الإسلام شعرة ، إلا أنه يقول بلسانه: لا إله إلا الله ، وهو أبعد الناس عن فهمها وتحقيق مطلوبها علماً وعقيدة وعملاً).[٢٤]

واقع نجد والجزيرة العربية قبل الإصلاح الأخير

ما إن أطل القرن الثاني عشر الهجري حتى كانت أحوال المسلمين عامة ، وفي شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص تتدرج من سيئ إلى أسوأ ، فقد انتشر الجهل والأمية انتشارا ذريعا في المجتمعات الإسلامية ، وفشت المنكرات إلى حد كبير ، وشاب العقيدة الإسلامية الصافية كثير من البدع والخرافات ، وصارت تلك البدع والخرافات ترتدي سمات العبادة وأردية القداسة ، وكان ذلك يحدث في بيئة نجد على وجه الخصوص ، وكذلك الأمر بالنسبة لشئون الحياة الأخرى ، فقد انعدمت مكارم الأخلاق عند الغالبية العظمى من القبائل ، وانتشر قطاع الطرق واللصوص والقتلة ، وكان بعض الحكام شركاء للرعية في هذه الجرائم ، وكثيرا ما كانوا يقتلون

رجال الدين والقضاة والشيوخ والوعاظ ، وقد حدث هذا مرات عديدة ، منها أحداث ١١١٦هـ، حيث قتل أهل القصيم كافة أهل الرأي والدين والتقوى في بلادهم ، وقتل أهل بلدة جناح علماءهم وفتكوا بهم ، وممن قتلوا عالم جليل مكفوف البصر ، ولم يكفهم قتله ، بل صلبوه منكسا على رأسه ، إذ وضعوا الحبل في رجليه وفيه رمق ، وفعلت كل مدينة أو قرية بعلمائها مثل ما فعلت القصيم وجناح.

ومن خلال هذه التصفية الجسدية لأهل العلم خلا الجو لأهل الضلال ، وأقصي الدين عن حياة الناس ، وشاب العقائد ما شابها من الانحراف والبعد عن الجادة ، ففي بليدة (الفدا) كان هنالك ذكر النخل ، المعروف بالفحال ، يقصده الرجال والنساء ، فالمرأة التي لم يتقدم إليها خاطب تتوسل إليه في خضوع وتقول: يا فحل الفحول ، ارزقني زوجا قبل الحول. فإذا أتمت ابتهالها إليه ، انصرفت إلى الشبان تغويهم ، فإذا تزوجت أحدهم قيل لها: إن ذلك من عمل فحل الفحول.[٢٥]

أما بقية العالم الإسلامي خارج الجزيرة العربية ، فقد كان يعيش في جو عام من التأخر والفساد ، فعلى الرغم من الإطار الديني للدولة العثمانية ، فقد كان الجهل مطبقا ، والمظالم منتشرة ، والحالة الاقتصادية متدهورة من سيئ إلى أسوأ. هكذا كانت حالة المسلمين وكأنها قطع من الليل مظلم ، بانتظار الفجر الذي سيشق جلابيب الظلام!

بشائر الرؤيا الصالحة

في هذه الأجواء المتلبدة التي تعصف بنجد ، ومن ورائها جيرانها من العرب والمسلمين في العالم الإسلامي ، شاءت إرادة الله أن ينصر دينه ، ويروي المؤرخون الجانب على سبيل القصة أنه بينما كان (الشيخ سليمان بن علي نائما ذات يوم ، فرأى أن شعلة خرجت من بدنه وانتشرت في الصحراء ، فأحرقت خيامها ، ومضت إلى المدن فدمرت دورها ، وقد سأل سليمان بعض العارفين أن يفسروا له رؤياه ، فقالوا: سيولد لك ولد يكون له شأن عظيم ، ومقام كريم ، يبطل معتقدات أهل نجد وعاداتهم ، ويدعو إلى الدين الحق ، وقد تحقق هذا الحلم بولادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حفيد الشيخ سليمان).[٢٦]

هكذا كانت الطريق إلى الحج غير آمنة ، وقد هيأت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب البدو للتوبة ، وأعادت قسما كبيرا منهم إلى الصواب عندما انبثقت شعلتها من نجد ، فكان لها الفضل في الحد من غارات البدو ، والتأمين النسبي لطريق الحج[٢٧] ، إلى أن قامت ثورة الاتصالات ونهضة المواصلات ، فصار المرء يستخدم الطائرات ويصل بأقل الوقت من أدنى الأرض إلى أقصاها ، وهذا من فضله تعالى الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

ثانياً: ندرة الماء

والطريق إلى بيت الله الحرام شاق طويل ، محفوف بالمخاطر والأهوال ، ومن هذه المخاطر ندرة مياه الشرب العذبة ، مما يضطر قاصده إلى أن يشرب من المياه الكدرة أحياناً مع كراهيته لها وعدم استساغتها ، ويلتمس عبد الله بن المعتز من هذه الظاهرة تشبيهاً لقرين السوء المتعدد الوجوه والأقنعة ، والذي يذيع الأسرار ويكشف الأستار ، ومع ذلك قد يضطر المرء إلى صحبته ، ولايجد غناءً عنه. يقول:[٢٨]

وصاحبِ سوءٍ وجههُ لي أوجهٌ
وفي فمهِ طبلٌ لسرّيَ يضربُ
ولابد لي منه فحيناً(يَغَصُّني)
وينساغُ لي حيناً ووجهي مقطب
كماءِ طريقِ الحجِّ في كل مَنهلٍ
يُذمُّ على ماكانَ منه ويُشرب

لقد كانت المياه قليلة ، "وكان الحجاز ، ولا سيما مكة وجدة ، من أقل المواطن المعمورة في الجزيرة ماءً ، وأكثرها ازدحاماً ونماءً"[٢٩]. وقد أسهمت النهضة الحديثة في حل مشكلة المياه للسكان والحجاج عبر تحلية مياه البحر! فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم!.

ثالثاً: الرمال المتحركة والأعاصير

وهي من مشكلات العيش في الصحراء ، أو السفر فيها ، وقد عانى الحجاج قديماً من وعثاء السفر ، فلا يصلوا إلى بيت الله الحرام إلا وهم شعث غبر... وقد تم التغلب نسبياً على بعض هذه المشكلات في العصر الحديث ، وذلك باستصلاح بعض الأراضي وزراعتها ، يقول الزركلي في هذا الصدد: "وأذكر أننا كنا نعجب في الرياض ، لما يُحمل إلينا من ثمار الخَرْج ، وتأمل أحد الأصدقاء في بطيخة كبيرة الحجم ، حمراء ، حلوة الطعم ، وقال: هذه الحبة قد أنفق عليها من الريالات بقدر حجمها".[٣٠]

كما تمت عملية توطين البدو في "الهجَر جمع هجرة ، وهي في عرفهم الانتقال من البداوة إلى الحضارة ، فحيثما وجد الماء في قلب الجزيرة ، كان على أقرب قبيلة بدوية منه أن تهجر بيوت الشعر ، وأن تبني إلى جوار الماء ، وتقتني الماشية وتزرع وتحصد وتستقر ، ولها من بيت المال المساعدة على الزراعة ، ومصيرها أن تتحضر".[٣١]

رابعاً: قلة المحطات ونقاط العلام

حاول بعض الخلفاء والملوك إنشاء محطات في طريق الحج ، ولكن الرمال والأعاصير قد تخربها أو تطمر نقاط العلام إليها ، وقد يخربها أهل السلب والنهب من البدو وقطاع الطرق ، وربما تاه الحجاج في الصحراء وماتوا بسبب فقد الوجهة الصحيحة ، وفي التاريخ أخبار كثيرة من هذا. وفي الصحراء تتشابه الجهات على الإنسان ، وقد تختلط الأمور ، قال ابن المعتز:[٣٢]

ومهمهٍ كرداء العصب مشتبهٍ[٣٣]
قطعته والدجى والصبح خيطانِ
والريح تجذبُ أطراف الرداء كما
أقضى الشفيق إلى تنبيه وسنان

خامساً: الخدمات الطبية المفقودة

لم يكن في العصور القديمة عناية كبيرة بالمراكز الصحية في طريق الحج ، ومن مات في الطريق دفنوه حيث مات ، أو ألقوه في البحر إن كان قادماً على سفينة ، يقول الزركلي: "العناية بالصحة العامة ، في الجزيرة ، وفي الحجاز على الخصوص ، من أبرز ما عرف عن الملك عبد العزيز. لم يكن قبل عهده أكثر من بضع منشآت ، يمكن اعتبار أكثرها منت المظاهر التي لا أثر لها في الواقع ، انحصرت في مكة والمدينة وجدة وينبع ، لخدمة الحجاج".[٣٤]

والخلاصة أن ثمة مشكلات كثيرة كانت تواجه الحجاج قديماً في سيرهم إلى مكة المكرمة ، وجدنا منها فقدان الأمن وسلامة الطريق إلى بيت الله الحرام ، وندرة الماء الصالح للشرب ، والرمال المتحركة

والأعاصير التي تشوي الوجوه ، وقلة المحطات ونقاط العلام ، والخدمات الطبية المفقودة... ولكن هذا لم يكن ليصد الحجاج عن الوصول إلى بيت الله الحرام ، يحدوهم الشوق إلى الجنة ، والأمل بالغفران ، وقد قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده *** ولا الصبابة إلا من يعانيها

وبحمد الله وفضله أن هذه المشكلات بدأت تتلاشى في عصرنا الحاضر ، فأنت تصل إلى جدة في ساعات معدودة بالطائرة ، فلم يعد يمنع من الوصول إلى بيت الله شيء ، إلا الأمراض المعدية ، حيث تحترز بعض الدول عن إرسال حجيجها خوفاً من العدوى ، ولله الأمر من قبل ومن بعد!.

المبحث الرابع: أهم الطرق القديمة إلى مكة المكرمة

نتحدث هنا عن أهم طرق البر والبحر القادمة من اليمن ومصر والشام والعراق ونجد ، وهذه الطرق تمثل المرحلة الأخيرة للحجاج القادمين من شرق آسيا وغرب إفريقيا والأندلس قديماً ، وأما حجاج اليمن ومصر والشام والعراق ونجد فهي تعتبر لهم طرق مباشرة للوصول إلى مكة ، فليس ثمة مرحلة قبلها ، وبالنسبة للترك مثلاً فهم لا بد أن يمروا بالشام ، فتعتبر الشام المرحلة الأولى لهم ، بعد أن يجتازوا حدود بلادهم ، والطريق إلى الحجاز المرحلة الثانية ... وهكذا تتعدد المراحل بحسب قرب البلد أو بعده عن الجزيرة العربية.

والطرق قديماً سالكة وآمنة إلى حد ما خارج الجزيرة العربية ، ولا تخلو من خطورة في قلب الجزيرة ، بيد أن أصعبها وأخطرها هو مرحلة الوصول إلى مكة من أطراف الجزيرة العربية ، وذلك بسبب رداءة المناخ أحيانا ، ورما الصحراء وأعاصيرها ، وبسبب فقدان الأمن وندرة المياه ، فمن استطاع الوصول إلى البيت العتيق ، والعودة إلى وطنه سالماً ، فكأنما كتبت له الحياة من جديد!

وفيما يأتي نورد بعضاً مما جاء في إصدارات وزارة النقل السعودية ، وبخاصة: (الكتاب المئوي)حيث جاء الفصل الأول بعنوان: (وقفة مع الماضي – المواصلات والاتصالات عبر العصور) وفي الفقرة الثانية منه: (العصور الإسلامية) ، وتبدأ بـ: (أ- طرق الحج) ومنها نقتبس الآتي:[٣٥]

"كانت مكة قبل ظهور الإسلام مركز نشاط للمسافرين والتجارة ، وذلك بفضل موقعها على الطرق التجارية القديمة التي كانت تربط المناطق الغنية بجنوب الجزيرة العربية مع كل من مصر وفلسطين وسوريا والعراق ، كما كانت مركزا دنيا يحج إليه الناس منذ بناء الكعبة على يد إبراهيم عليه السلام. وكان العرب في جاهليتهم يقومون بتأدية تلك العبادة الدينية بما يتناسب مع فطرتهم ويتواءم مع معتقداتهم "وعندما أشرق الإسلام بنوره وأضاء ظلمات الجاهلية ، أصبح الحج إلى بيت الله الحرام فريضة على كل مسلم مستطيع ... وهكذا عادت أهمية مكة بعد ظهور الإسلام ، حيث أخذ المسلمون يتوافدون إليها لأداء هذا المنسك".

" وفي عهد الخلافة الراشدة ، كان جميع سكان الجزيرة العربية قد دخلوا في الدين الإسلامي الحنيف ، كما انتشر الإسلام في العراق ، وفارس ، وبلاد الشام ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، ودخلت بلدان كثيرة في الدين الإسلامي ، فأصبحت أعداد حجاج المسلمين في زيادة مطردة ، مما أوجب عناية خاصة بطرق الحج ، ونبه الناس إلى ضرورة المحافظة على مظهر الطريق الذي يسلكونه".

"وكان الحجاج يواجهون مشاق السفر والترحال للوصول إلى مكة المكرمة ، مما جعل الخلفاء يهتمون بطرق الحج ومسالكه ، وظهرت في الدولة الإسلامية وظيفة أمير الحج الذي يقوم برعاية الحجاج وتأمين وصولهم إلى مكة وعودتهم منها. ومن مظاهر اهتمام الخلفاء بطرق الحج ، أنهم أقاموا محطات على الطرق ، وحددوا المسافات بين المحطات ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٤م) بذلت عناية خاصة بالطريق ما بين المدنية ومكة المكرمة ، فعندما توجه الخليفة عمر إلى مكة لأداء مناسك العمرة ، طلب منه اصحاب المياة الإذن بإنشاء استراحات على طول الطريق ، ليجد كل حاج المأوى والماء. فاهتم الخليفة عمر بن الخطاب بإنشاء الاستراحات والنزل في المدينة المنورة ، ليتمكن الحجاج والمارة من النزول بها خلال سفرهم ، و بهذا كان الخليفة عمر بن الخطاب أول من أهتم بالطريق بين المدينة ومكة... وكانت هناك سبعة طرق رئيسية تأتي من أنحاء الدولة الإسلامية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة هي:

١- طريق الكوفة ـ مكة المكرمة:

"يعد هذا الطريق من أهم طرق الحج والتجارة خلال العصر الإسلامي ، وقد اشتهر باسم (درب زبيدة) نسبة إلى السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد ، التي أسهمت في عمارته فكان أن خلد ذكرها على مر العصور . وقد استخدم هذا الطريق بعد فتح العراق و انتشار الإسلام في المشرق ، وأخذ في الإزدهار منذ عصر الخلافة الرشدة ، وأصبح استخدامة منتظماً وميسوراً بدرجة كبيرة ، إذ تحولت مراكز المياة وأماكن الرعي والتعدين الواقعة عليه إلى محطات رئيسية .وفي العصر العباسي ، أصبح الطريق حلقة إتصال مهمة بين بغداد والحرمين الشرفين وبقية أنحاء الجزيرة العربية. وقد أهتم الخلفاء العباسيون بهذا الطريق وزودوه بالمنافع والمرافق المتعددة ، كبناء احواض المياه وحفر الآبار وإنشاء البرك وإقامة المنارات وغير ذلك. كما عملو على توسيع الطريق حتى يكون صالحاً للاستخدام من قبل الحجاج والمسافرين ودوابهم." وتشير المصادر التايخية والجغرافية والآثار الباقية إلى أن مسار هذا الطريق خطط بطريقة عملية وهندسية متميزة ، حيث أقيمت على امتداد المحطات والمنازل والاستراحات ، ورصفت أرضيته بالحجارة في المناطق الرملية والموحلة ، فضلاً عن تزويده بالمنافع والمرافق اللازمة من آبار وبرك وسدود ، كما أقيمت علية علامات ومنارات ومشاعل ومواقد توضح مسارة ، ليهتدي بها المسافرون. فمنذ بداية الدولة العباسية ، أمر الخليفة أبو العباس السفاح بإقامة الأميال (أحجار المسافة) والأعلام على طول الطريق من الكوفة إلى مكة ، وذلك في عام ١٣٤هـ / ٧٥١م ، ومن بعده أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بإقامة الحصون وخزنات المياه في نقاط عدة على طول الطريق .على حين أمر الخليفة المهدي ببناء القصور في طريق مكة ، كما أمر الخليفة هارون الرشيد ببناء خزانات المياه وحفر الآبار و إنشاء الحصون على طول الطريق ، فضلاً عن تزويده بالمرافق والمنافع العامة لخدمة الحجاج والمسافرين وراحتهم. وقد عين الخلفاء ولاة يشرفون على الطريق ويتعهدونه بالصيانة والإعمار أولاً بأول.

"ويبلغ عدد المحطات الرئيسة في هذا الطريق سبعاً وعشرين محطة ، ومثلها محطات ثانوية تسمى كل منها (متعشى) ، وهي استراحة تقام بين كل محطتين رئيستين. ويمكن رصد المحطات

الرئيسة والمنازل الواقعة على طول الطريق على النحو التالي :الكوفة ، القادسية ، العذيب ، وادي السباع ، المغيثة ، مسجد سعد ، القرعاء ، الطرف ، واقصة ، القبيات ، العقبة ، الحلجاء ، القاع ، الجريسي ، زبالة ، التنانير ، الشقوق ، ردان ، البطان ، المحمية ، الثعلبة ، الغميس ، الخزيمة ، بطن الأغر ، الأجفر ، القرائن ، فيد ، القرنتين ، توز ، الفحيمة ، سميراء ، العباسية ، الحاجر ، قروى ، معدن النقرة ، السمط ، مغيثة الماوان ، أريمة ، الربذة ، الروثة ، السليلة ، اضبة ، شروى ، العمق ، معدن بني سليم ، عقبة الكراع ، الكرانة ، أفاعية ، الكبوانة ، المسلح ، القصر ، الغمرة ، أوطاس ، ذات عرق ، غمر ، بستان بني عامر ، مشاش ،مكة المكرمة...هذا ما يتعلق بالمسار الرئيس للطريق الذي يتجة إلى مكة".

"وهناك مسارات فرعية أخرى منها طريق معدن النقرة-المدينة ، ويبلغ طوله (٢٦٥) كيلاً، وأهم محطاتة :معدن النقرة ، العسيلة ، المحدث ، بطن نخل ، الحصيلك ، المكحولين ، السقرة ، الطرق ، الركابية ، المدينة ، هذا ويلتقي طريق البصرة مع طريق الكوفة في معدن النقرة. ومما يجدر ذكره ، أن طريق الكوفة .مكة المكرمة بلغ أوج ازدهاره في العصر العباسي الأول ، وبعد انقضاء عصر الخلفاء الأقوياء تعرض الطريق لهجمات القبائل و القوى المحلية الثائرة ، ففي أواخر القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع ، تعرضت بعض محطات الطريق للتخريب والتدمير على أيدي القرامطة ، مثل محطة الربذة ، ونجم عن ذلك اندثار معالم الطريق وتوقف الحجاج عن استخدامة إلا في حالات توافر الحماية . وبعد سقوط بغداد على أيدي المغول عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م تعطل الطريق واندثرت معظم محطاته و أصبحت مجرد أطلال" ."وقد أوضحت الدراسات الأثرية أن المنشآت المعمارية على طريق الكوفة – مكة تمثل نمطاً معمارياً فريداً للعمارة الإسلامية ، حيث تميزت بدقة التصميم وجودة التنفيذ ، فقد بنيت قصور الطريق وخاناته بجدران سميكة وزودت بالمرافق والخدمات ، كما بنيت البرك بأشكال مستطيلة ومربعة ودائرية ، وتدل عمارة البرك على مدى براعة المسلمين في إقامة المنشآت المائية . وتعطي نتائج حفريات جامعة الملك سعود بموقع الربذة صورة متكاملة لتخطيط إحدى محطات الطريق ومدنه بما اشتملت عليه مساجد وأحياء وقصور وبريد وبرك وآبار".

٢- طريق البصرة ـ مكة المكرمة:

"يعد الطريق الثاني في الأهمية ، حيث ينطلق من مدينة البصرة ماراً بشمال شرق الجزيرة العربية عبر وادي الباطن مخترقاً منطقة صحراوية ، أصعبها صحراء الدهناء ، ثم يمر بمنطقة القصيم التي تكثر فيها المياه العذبة والوديان الخصبة والعيون . ومن القصيم يسير الطريق محاذياً لطريق الكوفة – مكة حتى يلتقيان عند محطة أم خرمان (أوطاس) التي تقع على مسافة عشرة أميال من موقع ذات عرق ، كما يلتقي طريق البصرة بالطريق الرئيسي الممتد من الكوفة عند منطقة معدن النقرة التي يتفرع منها طريق يتجه إلى المدينة".

"ويبلغ طول طريق البصرة حوالي ١٢٠٠ كيل ، وتوجد على امتداد مساره سبع وعشرون محطة رئيسية ، منها أربع محطات تقع حالياً ضمن حدود الأراضي العراقية والكويتية ، وهي : المنجاشية ، الحفير ، الرحيل ، الشجي ، أما باقي محطات الطريق فتقع في أراضي المملكة العربية السعودية ، وأولها الرقيعي ومنها يتجه الطريق نحو الجنوب الغربي ، مروراً بالأجزاء الشمالية الشرقية للمملكة العربية السعودية عبر وادي الباطن ومروراً بالحفر ، ثم يخترق رمال الدهناء ويمر بمنطقة القصيم حتى يصل إلى ضرية ، آخر محطاته بالقصيم ، ثم يستمر الطريق ويمر بعدة قرى ومنازل للمياه منها جديلة فالدفينة ثم يمر بقبا ومران حتى يصل إلى أم خرمان (أوطاس) شمال شرق مكة المكرمة".

"ويجتاز طريق البصرة إلى مكةمناطق صحراوية وسهلية ومناطق صالحة للرعي والزراعة ، أنشئت في بعضها العيون و القنوات و السدود. وتعد الفترة الممتدة من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث الفترة الذهبية لهذا الطريق. فقد شهد الطريق خلال القرن الأول الهجري عناية خاصة من ولاة البصرة الأمويين ، وبخاصة الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذي سلك هذا الطريق إلى مكة ، وقام بفحص المياه في المحطات التي مر عليها على طول الطريق ليعرف مدى جودتها... كما بعث رجلاً من بني سليم يقال له عضيدة لحفر المياه على الطريق... وفي العصر العباسي زاد الإهتمام بالطريق وسلكه عدد من الخلفاء في رحلتهم إلى الحج مثل أبي جعفر المنصور و هارون الرشيد ، غير أن الطريق دخل منذ نهاية العصر العباسي الأول(١٣٢ هـ) في مرحلة من الإهمال".

" أما آثار الطريق الباقية فتتمثل في سلسلة من الآبار والبرك والقنوات والسدود والقصور والأعلام وأعمال الرصف والتمهيد ، وتوجد آثار مهمة للطريق في منطقة القصيم ، ففي الأسياح توجد أطلال قصر كبير مبني بالحجارة له بقايا عقود نصف دائرية ، وبالقرب منة آثار العيون والقنوات القديمة والبرك والسدود. وفي ضرية لا تزال آثار البلدة القديمة باقية بالإضافة إلى العيون والبرك. ويلاحظ أن بعض محطات الطريق استمر فيها الاستيطان الحضاري أو بالقرب منها بسبب توافر المياه والمناطق الرعوية ، كما أن بعض المحطات اختفت معالمها تحت الكثبان الرملية. ومن المحطات المهمة على طريق البصرة بركة الخرابة الواقعة عند التقاء الطريق مع طريق الكوفة بالقرب من أم خرمان وذات عرق ، وهي عبارة عن بركة دائرية لها مصفاة مستطيلة تصل إليها المياه بواسطة قناة أرضية مسقوفة تمتد من وادي العقيق".

٣- طريق الحج المصري:

" يسير حجاج مصر ومن رافقهم من حجاج المغرب والأندلس وأفريقيا من بلادهم متجهين إلى شبه جزيرة سيناء للوصول إلى أيلة (العقبة) وهي أول محطة لطريق الحج المصري في الجزيرة العربية ، وبعد أيلة تمر قوافل الحجاج على حقل ، ثم الشرف ، ثم مدين (مغائر شعيب – البدع). وكان لحجاج مصر طريقان بعد رحلتهم من مدين : أحدهما داخلي ، والآخر ساحلي. ويتجه الطريق الداخلي إلى الجنوب الشرقي ماراً بشغب ثم بدا ، ثم منطقة وادي القرى حيث يلتقي في السقيا (الخشيبة) بطريق الحاج الشامي ليسير معه إلى المدينة المنورة ، وأما طريق الساحلي فيمر على محطات عدة بعد مدين ، منها : عينونا ، ثم النبك (المويلح) ثم ضباء ،ثم العويند ،ثم الوجه ، الحوراء ، ثم الأحساء (مغيرة - نبط)، ثم ينبع ، ثم الجار ومنها إلى مكة المكرمة مروراً بالجحفة ، ثم خليص ، ثم عسفان ، أو إلى المدينة المنورة مروراً ببدر. وكان الطريق الداخلي هو الأكثر إستخداماً خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى ، ثم زاد إستخدام الطريق الساحلي بعد ذلك التاريخ".

"واستمر سفر الحجاج على الطريق الساحلي حتى منتصف القرن الخامس الهجري ، ثم تحولو إلى السفر بحراً عبر طريق عيذاب بسبب الأحداث التي شهدتها مصر في العصر الفاطمي ، وما نتج عنها من عجز الفاطميين عن دفع نفقات الطريق ، ثم بسبب إحتلال الصليبيين لأيلة ، أهم محطة على الطريق ، ومعبره الوحيد إلى الجزيرة العربية. وقد توقف الطريق قرابة قرنين من الزمان تركت آثار سيئة على عمارته. وفي عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عادت حركة الحجاج إلى الطريق البري الساحلي ، وذلك ابتداء من حج عام ٦٦٧هـ".

"وطوال العصرين المملوكي والعثماني كانت قوافل حجاج مصر ومن رافقهم تتجمع في بركة الحاج القريبة من القاهرة ، ثم تسير على درب السويس ، وتمر على البويب ، ثم عجرود ثم تعبر شبة جزيرة سيناء وتتجه إلى خليج العقبة وتمر على عدة منازل أهمها: المنصرف ، ونخل ، وبئر القريص ، وعرقوب البغلة ، وسطح العقبة ، ثم تهبط نقب العقبة فتصل إلى عقبة أيلة . ثم ترحل من عقبة أيلة متجهة إلى حقل وظهر الحمار والشرف ثم تصل إلى مغائر شعيب ، وتسير باتجاه الجنوب الغربي حتى تصل إلى عينونة ، ثم تمر على عدد من المنازل أهمها: المصلى (شرمة)، وتريم ، والنبك (المويلح) ووادي الغال(وادي القسطل) وضباء ، والأزنم وبركة عنتر وقلعة الوجه وبين النهدين ووادي العرجاء ، وبركة أكرا ، وبئر القروي ، والحوراء ، ونبط ، ووادي النار ، والوعرات السبع ، والدهناء ، وواسط ثم تصل إلى بدر. ومن بدر ترحل إلى رابغ ثم خليص ثم عسفان ثم تصل إلى مكة المكرمة ، بعد أن تكون قد قضت شهرا كاملا على الطريق بين القاهرة ومكة".

"وظل الطريق البري الساحلي في خدمة قوافل الحجاج المصريين حتى عام ١٣١٠ هـ، وبعد هذا التاريخ عاد الحجاج المصريون مرة أخرى إلى السفر بحراً من السويس إلى جدة على ظهر السفن البخارية والشراعية. وأيا كان الأمر ، فقد حظي طريق الحج المصري باهتمام الحكام المسلمين في الفترة الإسلامية المبكرة ، حيث أقاموا عليه البرك وحفروا الآبار ، ومهدوا العقبات الصعبة ، وبنوا المساجد في بعض محطاته . فقد نظف خمارويه بن أحمد بن طولون عقبة أيلة من الحجارة . وأقميت سبع آبار في ضباء لخدمة الحجاج ، وصفها العذري الأندلسي في بداية القرن الخامس الهجري. كما بنيت مساجد ببدر على أيدي ملوك مصر .وأنشئ خان بالعشيرة بينبع ليس له نظير على حد قول المقدسي ، كما أقميت بركة وقناة بخليص". "وقد وجدت مئات النقوش العربية على هذا الطريق نقشها الحجاج على صخور في محطاته وعلى طول مساره تذكارا لمرورهم. كما توجد آثار معمارية ترجع غلى تلك الفترة بعضها على مسار الطريق الداخلي مثل بركة النابع الواقعة جنوب مدينة ضباء ، وبركة بدا ، وآبار بلاطة ، وبعضها الآخر على المسار الساحلي مثل بركة مدين ، وبركة الجار ، هذا فضلاً عن المدن التي كانت عامرة على الطريق مثل : مدين ، وعينونا ، والعونيد ، والحوراء ، والجار ، والجحفة ، وشغب ، وبدا".

"وأما آثار العصور الإسلامية المتأخرة الباقية على طريق المصري فنذكر منها : بركة البدع (مغائر شعيب) ويعود تاريخ إنشائها إلى العصر المملوكي ، وآثار المويلح التيلا تشمل بئرين من العصر المملوكي ، وقلعة الأزنم التي أنشئت في عهد السلطان المملوكي محمد بن قلاوون ، وجددت في عصر السلطان قانصوة الغوري ، وبرك عنتر التي يرجع تاريخها إلى العصر العثماني ، وقلعة الزريب بالوجه التي أنشئت سنة ١٠٢٦هـ في العصر السلطان العثماني أحمد الأول ، وبركة أكرا وآبار نبط ، وسبيل بدر وبركتها ، وجميعها آثار أنشئت في العصر المملوكي ، وجددت ووسعت عدة مرات خلال العصر العثماني".

٤- طريق الحج الشامي:

"يربط بلاد الشام بالأماكن المقدسة في مكة والمدينة طريق رئيس عرف باسم التبوكية نسبة إلى بلدة تبوك التي يمر عليها. ويبدأ مسار هذا الطريق من دمشق ويمر ببصرى الشام (درعا)، وبمنازل أخرى أهمها أذرعات ، ومعان والمدورة (سرغ) ثم يدخل الأراضي السعودية ، ويمر على حالة عمار ، ثم ذات الحاج ثم تبوك ، ثم الأخيضر الذي تقع فيه محطة المحدثة ، ثم محطة المعظم ، ثم الأقرع ، ثم الحجر ، ثم العلا ثم قرح. ولم يتغير مسار الطريق بين تبوك والعلا طوال العصور الإسلامية ، إلا أن بعض محطات هذا الجزء حملت أكثر من اسم."

"أما جزء الطريق الواقع بين العلا والمدينة فقد كان له مساران: مسار قديم استخدم إلى القرن السادس الهجري ، ومسار آخر استخدام بعد القرن السادس الهجري. ففي القرون الأولى كان مسار الطريق يتجه إلى المدينة مروراً بالرحبة ، ثم بذي المروة ، ثم بذي مر ، ثم بالسويداء ، ثم بذي خشب. أما المسار المتأخر فيمر بعد العلا على قلعة الفقير (مغيرة)، ثم على سهل المطران ، ثم بقلعة زمرد ، ثم بالبئر الجديدة ، ثم هدية ، ثم إسطبل عنتر ، ثم الفحلتين ، ثم آبار نصيف ، ثم الحفيرة."...

"وقد اهتم الخلفاء الراشدون والأمويون بعمارة الطريق الشامي فوضعوا العلامات والمنارات على طول مساره ، وبنوا البرك والصهاريج والقنوات ، إذ تشير المصادر إلى عمارة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لعين تبوك ، وقد أمر بطيها بعد أن كادت تدفنها الرمال. وفي العهد الأموي جددت عمارة مسجدي الرسول بتبوك وبوادي القرى وهما من مساجد الطريق. كما أمر الخليفة الوليد بن عبدالملك بوضع المنار على الطرقات ، وأقام البرك وحفر الآبار بين دمشق ومكة ، ومثل ذلك فعل هشام بن عبدالملك. "...

"وخلال العصر العباسي ازدهرت مدن الطريق ومحطاته ، وبخاصة الواقعة في منطقة وادي القرى مثل: العلا وقرح والرحبة والسقيا. وقد سجلت المسوحات الأثرية وجود برك مياه وبقايا قنوات في مواقع هذه المدن ، كما وجدت على الطريق نقوش كوفية تذكارية تركها المسافرون على الطريق... وفي بداية القرن السادس الهجري شهد الطريق الشامي فترة حرجة في تاريخه بسبب وجود الصليبيين في بلاد الشام ، فقد كان الصليبيون يهدودن أمن الطريق ، ويهاجمون قوافل الحجاج التي تسلكه من قلاعهم في الكرك والشوبك ، واستمرت ممارساتهم إلى أن سقطت قلعة الكرك في يد صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م. وبوصول الأيوبيين عاد النشاط والاستقرار إلى الطريق ، ونال اهتماماً كبيراً من ملوك دمشق الأيوبيين. ويعد الملك المعظم عيسى بن أيوب أكثر حكام دمشق اهتماماً بالطريق ، وكان والده ضم إليه الكرك والشوبك وتبوك والعلا ، فسار على طريق تبوك وأمر ببناء بركة المعظم وبرك أخرى ،

كما سير من مسح الطريق بين دمشق وعرفات ، وأمر بتسهيل مواضع كانت وعرة."

"وخلال العصر المملوكي نال الطريق اهتماماً متزايداً من حكام دمشق وزادت أعداد سالكيه من الحجيج ، وقد قدر ابن رشيد قافلة الحج الشامية التي سار معها سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٨٦م بستين ألف راحلة دون الخيل والبغال والحمير. وتوجد على الطريق نقوش من العصر المملوكي تشير إلى ترميم بعض منشآته".

٥- طرق الحج اليمنية إلى مكة المكرمة:

"هناك اتصال بين اليمن والحجاز منذ العصور القديمة ، لذا فقد تعددت طرق الحج اليمنية واختلفت مساراتها ، وتعددت كذلك المدن التي تسير منها ، ولعل أهم العواصم اليمنية التي كانت تنطلق منها جموع الحجاج اليمنيين إلى مكة هي: عدن ، وتعز وصنعاء وزبيد وصعدة في شمال اليمن ، وكانت بعض مسارات تلك الطرق يلتقي بعضها ببعض في نقاط معينة ، مثل طريق تعز زبيد ، وطريق صنعاء الداخلي إلى صعدة. وقد اشتهر من طرق الحج اليمنية إلى مكة ثلاثة طرق هي : الطريق الساحلي والطريق الداخلي أو الأوسط ، والطريق الأعلى ، ولكل منها مساراته ومحطاته ، ومتاعبه التي عانى منها الحجاج قروناً طويلة. فالطريق الساحلي يمر بجوار البحر محاذيا له من الشرق ، ويبدأ من عدن فأبين مرورا بالمخنق ، فإلى عارة ، ثم عبرة ، فالسقيا ، فباب المندب ، فسماري ، ثم الخوخة والأهواب ، وغلافقة ، وهي فرضة زبيدة ، ثم نبعة ، فالحردة ، ثم الزرعة ، ثم الشرجة ، وهي أولى مراحل طريق الحج اليمني الساحلي التي تقع في أراضي المملكة العربية السعودية. ويسير الطريق من الشرجة إلى المفجر ، فإلى القنيدرة ، ثم عثر ، ثم بيض ، ثم الدويمة ، ثم حمضة ، ثم ذهبان ، ثم حلي ، ثم قرما ، فدوقة ، إلى السرين وهي ملتقى طريق الساحل مع طريق الداخل ، ومنها يفترقان أيضا كل في جهته ، حيث يسير الساحلي صوب الليث فالشعيبة إلى جدة و منها إلى مكة المكرمة".

"أما الطريق الداخلي فهو تهامي أيضاً ، ويعرف باسم الجادة السلطانية ويبدأ من تعز ، ويمر بذات الخيف ، فموزع ، ثم الجدون ، ثم حيس ، ثم زبيد وهي ثاني عاصمة في اليمن الأسفل بعد تعز ، إذ تتجمع فيها القوافل التي تسلك طريق الجادة السلطانية ، ومنها تنطلق في سيرها إلى مكة المكرمة مارة بفشال والضنجاع ، والقحمة ، والكدراء والمهجم ، ومور ، والواديين ، والساعد ، وتعشر ، وجازان ، والهجر ، وبيش ، إلى ضنكان ، ومنها يتجه الطريق إلى المقعد فحلي العليا ثم يبة ، ثم قنونا ثم عشم ثم دوقة فإلى السرين حيث يلتقي بالطريق الساحلي. ومنها يفترق في مساره الداخلي إلى الليث ، فالخضراء ، ثم سعيا ، فيلملم ميقات أهل اليمن ، ومنها إلى مكة المكرمة".

" أما الطريق الأعلى ، فيعرف باسم الطريق الجبلي ، ومركز انطلاق هذا الطريق هو صنعاء ومنها يتجه الطريق إلى صعدة ، ومنها إلى العرقة ، ثم المهجرة ، ثم أرينب ، ثم سروم الغيض ، ثم الثجة ، ثم بيشة ومنها إلى تبالة ، فالقريحاء ثم كرى ، ثم تربة ، ثم الصفن ، ثم العنق ، ثم رأس المناقب ، وهي منتهى الطريق في اتجاه الشمال ، ومنها ينحرف في سيره صوب الغرب إلى قرن المنازل ، وهو ميقات أهل اليمن الذين يمرون من تلك الجهة ، ويتجهون محرمين صوب مكة مجتازين الزيمة ، والطائف عن طريق السيل".

"ومن أهم الطرق المفضلة لدي الحجاج بيت الله الحرام القادمين من طريق اليمن الطريق الذي يمر بشمال اليمن ويخترق منطقة عسير الجبلية إلى أن يصل إلى الطائف ثم إلى مكة . وعلى الرغم من أن الطريق يجتاز مناطق ذات طبيعة تضاريسية صعبة ، إلا أنه كان مفضلا للحجاج وغيرهم لأنه يمر عبر أراض خصبة دائمة الخضرة ، وقرى وبلدات تتوافر فيها المياه ويكثر بها الغذاء".

٦- طريق الحج العماني إلى مكة المكرمة:

" هناك طريقان من عمان إلى مكة ، أحدهما يتجه من عمان إلى يبرين ، ثم إلى البحرين ، ومنها إلى اليمامة ، ثم إلى ضرية. وتشير المصادر الجغرافية إلى أن ضرية كانت ملتقى حجاج البصرة والبحرين ، حيث يفترقون بعدها إذا انصرفوا من الحج ، فيتجه حجاج البصرة شمالاً وحجاج البحرين باتجاه اليمين ، كما كان بإمكان القوافل القادمة من عمان اجتياز منطقة الأحساء لتلتقي بطريق اليمامة مكة".

"وهناك طريق آخر لحجاج عمان يتجه إلى فرق ، ثم عوكلان ، ثم إلى ساحل هباة ، وبعدها إلى شحر. ثم تتابع القوافل سيرها على أحد الطرق اليمنية الرئيسة المؤدية إلى مكة ، حيث يمكنهم أن يسلكوا أحد الطريقين: طريق الحج الساحلي الموازي للبحر الأحمر ، والذي يمر بمخلاف عك والحردة ومخلاف حكم ، وعثر ومرسى ضنكان ، والسرين حتى الشعيبة ، ثم جدة فمكة ، أو الطريق الداخلي من اليمن إلى مكة مروراً بعدد من المنازل بعضها لايزال معروفاً حتى اليوم مثل رنية وتربة".

٧- طريق حج البحرين – اليمامة – مكة المكرمة:

"يشكل طريق البحرين — اليمامة رافداً مهماً من روافد طريق حج البصرة ، وذلك لما له من أهمية ، حيث أنه يعبر الأجزاء الوسطى من الجزيرة العربية ، ماراً بالعديد من بلدانها وأقاليمها ، ويربط بين الحجاز والعراق مركز الخلافة العباسية. وقد حظي حجاج هذا الطريق برعاية الدولة الإسلامية وخصوصاً في توفير الخدمات المهمة ، وحماية الحجاج السائرين عليه من أي اعتداء يقع عليهم من قطاع الطرق" ."وقد أشار عدد من الجغرافيين المسلمين الأوائل إلى التقاء طريق اليمامة مع طريق حج البصرة . يقول الحربي: (لليمامة طريقان إلى مكة ، طريق من القريتين..وطريق على مرات)، ويقول ابن رستة : (من البحرين إلى مكة تخرج إلى اليمامة ومن اليمامة إلى ضرية ومنها إلى مكة)، وبعد التقاء طريق البحرين بطريق البصرة في ضرية ، يمر الطريق عبر محطات : جديلة ، وفلجة ، والدفينة ، وقبا ، ومران ، ووجرة ، وأوطاس ، وذات عرق ، والبستان ، ثم يصل إلى مكة".[٣٦]

وقد تطورت هذه الطرق في العصر العثماني ، كما جاء في الكتاب المئوي ، ففي الفقرة الثالثة: العصر العثماني وتبدأ بـ (أ- الطرق) جاء فيها:[٣٧]

"تعد الدولة العثمانية دولة عالمية الوجود السياسي ، في زمن الأوج والقوة وفي زمن الانحطاط والسقوط ، وينطلق هذا المفهوم من خلال حصلية الامتداد الجغرافي الشاسع للدولة العثمانية ، واحتوائها على شعوب عريضة ، وثقافات متعددة . وأمر بديهي أن تهتم الدولة العثمانية بشؤون المواصلات والاتصالات في صيغتها الدولية ومفهومها العالمي وقت وجودها ، لأن الاتصالات والمواصلات تشكلان أساس حضارة الأمم والشعوب ، وأهم بواعث التقدم في كل

حقب التاريخ ؛ حيث تعد المواصلات منة أهم قطاعات التنمية و املا أساسيا في حفظ الأمن و تمكين سيطرة الدول.

والحقيقة أن الدولة العثمانية منذ دخولها الحجاز أخذت تطرح قضية إستراتيجية مهمة اطلق عليها اسم « نظرية توازن الأجنحة البحرية للدولة العثمانية في سواحل الجزيرة العربية » ... هادفة من وراء هذا كله إلى تعميق الوجود العثماني في الجزيرة وسواحلها ؛ فلما ازداد وجود الدولة العثمانية في البحر الأحمر في العشرينات والثلاثينات من القرن السادس عشر الميلادي ، أصبح لديها رغبة ملحة وحاجة للقيام بتحرك سريع و جاد باتجاه ساحل الجزيرة العربية الشرقي ، وأعني هنا الخليج العربي ومناطقه.

ومن خلال نظرية توازن السيادة والاتصالات البحرية تكون الدولة العثمانية في المقام الأول قد حافظت على نفوذها في مناطق السواحل ، وتصدت للغزو البرتغالي الصليبي في البحر الأحمر والخليج من جهة ثانية ، وتكون في المقام الثالث قد حافظت على وجود لها في داخل الجزيرة العربية وعمقها ولو بصورة اسمية ورمزية. وقد ثبت هذا الوجود ودعم عن طريق القوة العثمانية المتمركز في السواحل الجزيرة وفي الولايات العثمانية القوية المجاورة للجزيرة العربية.

وبناء عليه فإن الوجود العثماني المركز في الجزيرة العربية ظل محصورا بشكل فعلي في الأقاليم المطلة على السواحل ، وضعف وكاد يتلاشى في الداخل. وقد اهتمت الدولة العثمانية بشؤون المواصلات بدرجات متفاوته في المناطق سلطتها المباشرة التي أصبحت ضمن أراضي المملكة العربية السعودية وهي الحجاز وعسير والأحساء ، واتجه اهتمام نحو إصلاح الطرق وبخاصة المؤدية إلى الحجاز حيث الأماكن المقدسة. واهتمت كذلك بالموانئ المطلة على خليج و البحر الأحمر ، كما أدخلت في أواخر عهدها تقنيات المواصلات والاتصالات الحديثة إلى إقليم الحجاز ، فأنشأت خطا للبرقية من دمشق إلى المدينة المنورة ، ثم أنشأت سكة حديد الحجاز التي ربطت بين إسطنبول ودمشق والمدنية المنورة ، كما أدخلت خدمات الهاتف ، وعلى نطاق محدود جداً ، في مكة المكرمة والمدينة المنورة".

وأما البلدان البعيدة كالمغرب مثلاً ؛ فيمر أهلها بدول ومحطات كثيرة ، قبل أن يصلوا إلى أطراف الجزيرة ، ثم يقتحموا الصحراء وصولا إلى مكة ، يقول الدكتور عبد السلام محمد أبو سعد في حديثه عن طرق حج المغاربة: "ومن أشهر الطرق التي كان يسلكها حجاج الغرب الإسلامي ، واشتهرت في التاريخ بسبب الدور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي أدته عبر التاريخ: طريق القوافل المغاربية ، وهذا الطريق يبدأ من مراكش ، ثم يتجه جنوباً نحو (درعا) ومنها إلى (توات) ومن هناك يفترق إلى طريقين:

١. الطريق الشمالي الساحلي:

وهو الذي يتجه من توات إلى طرابلس وهو الطريق الذي سلكه الرحالة المغربي أبو سالم العياشي في أواسط القرن السابع عشر. فقد وصف العياشي الطريق الذي سلكه في رحلته إلى الحج ذاكراً المدن والقرى والوديان التي اجتازها ، ومن أشهرها (سجلماسة . بسكرة . بادس . نفطة اتوزر . شط الجريد . زاوية سيدي حماد . قصر الرومان . الحامة قابس . زوارة . الزاوية . طرابلس . تاجوراء . لبدة . زليتن . مصراته . الهيشة . سرت . صحراء ليبيا الشرقية . الإسكندرية . القاهرة).

وقد سلك الرحالة الورثلاني نفس الطريق سنة (١٣٣٠ هـ/١٩١٢م) مع اختلاف بسيط في بعض المدن والمحطات. وهي قريبة أيضاً من الطريق التي سلكها الرحالة المغربي العبدري ، في رحلته إلى الحج ، وإن كانت مختلفة عنها في بعض المدن والمحطات التي مر بها أو توقف عندها هذا ، ولم يفعل ذلك. فقد انطلق العبدري من بلده حاجاً ، فصحراء المغرب الشرقية ، فزاره تلمسان . مليانه . الجزائر . قسنطينة . عنابة . باجه . تونس . القيروان . قابس . الزاوية . جنزور . طرابلس . تاجوراء . لبدة . مصراته . سرت . اجدابيا . درنة . طبرق . مرسي مطروح . الإسكندرية . قليوب . دمنهور . القاهرة . الأراضي المقدسة ، وغيّر طريقه في العودة قليلاً ، حيث انطلق من الإسكندرية إلى محطة العبران . العقبة الصغرى . العقبة الكبرى . البطنان . سوسه . قمينس . اجدابيا . سرت . مصراته . لبدة . مسلاته . طرابلس . قابس . صفاقس . المهدية . المنستير . سوسه . الحمامات . باجه . قسنطينة . بجاية . مليانه . مازونة . وهران . تلمسان . وجدة . تازة . فاس . مكناس . آزمور . حاحا.

٢ . والطريق الأخرى :

تتجه شرقاً عبر الجنوب إلى مرزق (عاصمة فزان يومئذ)، حيث يصبح من هناك الطريق الرئيس لتجارة القوافل وهي تمر بأوجلة فالأراضي المصرية . ثم إلى الأراضي المقدسة ، وهي الطريق التي سلكها الرحالة المغربي ابن مليح في رحلته الحجازية (١٦٣٣-١٦٣١م). ولعل الشيخ زروق سلك هذا الطريق في إحدى رحلاته إلى الحج ، حيث يوجد مسجد عتيق بأوجله ، يعتقد أهلها أن الشيخ زروق أقام به بعض الوقت يعلم الناس أمور الدين ، وقد اكتسب هذا الطريق أهمية بالغة خلال القرن ١٧.

طريق السودان الغربي والأوسط :

وكان هذا الطريق يتبع طرق القوافل التجارية وأهم المدن التي يسلكها هذا الطريق تمبكتو ، وبفضله صارت تمبكتو مركزاً تجارياً وعلمياً هائلاً خلال حقبة من الزمن ليست بالقصيرة ، وهذه الطريق تربط تمبكتو بمدينة "جاو" بالشمال ، عبر توات بجنوب الجزائر وغات بجنوب غرب ليبيا ، ومنها إلى مرزق حيث تلتقي مع الطريق السابق. ومن المرجح أن هذه الطريق هي التي سلكها "أسكيا محمد" عام ١٤٩٨م عندما كان في طريقه إلى الحج.

وهناك الطريق التي كانت تعرف بطريق الحج ، وهي تنطلق من تمبكتو وجاو ، وتمر بأير ، حيث تلتقي مع الطريق السوداني الآتية من المنطقة الشمالية في بلاد الهوسا ، ثم تتجه شمالاً إلى غات ، ومنها إلى مرزق ، فتنضم إلى الطريق السابقة. وإلى أقصى الشرق كانت هناك طريق رابعة تربط واداي أولاً بفزان ، ثم بعد سنة ١٨٣٧ صارت تربط واداي بالكفرة ، وجالو ، ثم بنغازي ، ومنها إلى الأراضي المصرية فالحجاز.

ولا يخفى أن واحات ومدن فزان كانت تعتبر المناطق الحيوية للتجار والحجاج المغاربة والأفارقة المسافرين إلى الحج عبر هذه الخطوط. هذا بالإضافة إلى الطريق التي كانت تجمع بين البر والبحر حيث كان الحجاج المغاربة والأندلسيون يسلكون طرق البر السابقة إلى تونس ، ثم يركبون البحر اتقاء للصحراء الليبية المترامية الأطراف ، ولما تحتوي عليه من مخاطر ومشاق. كما أن هناك طريقاً آخر يسلكه الحجاج من الأندلس والمغرب عبر البحر مباشرة ... إلى جدة ، وربما كان يتوقف بالمدن الرئيسة التي لها ميناء بحري ، مثل الجزائر .

وتونس . وطرابلس . ودرنة . والإسكندرية ، ومن هذه الطريق البحرية كان يلتقي الحجاج من عدد من الدول ويحدث بينهم من التعارف وتبادل العلوم والمنافع الأخرى ما يحدث في الطريق البري".[٣٨]

ويحدثنا الدكتور محمد كمال الدين إمام بمزيد من التفاصيل عن رحلة الحج المصرية وأهم طرق الحج من خلال رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطه ، مبينا التقاء حجاج مصر مع حجاج آسيا القادمين في البحر ، فيلتقون في ميناء عيذاب ،يقول: ((كانت "الفسطاط" هي مركز التجميع في طريق الحج المصري وكان ميناء عيذاب هو بداية الرحلة البحرية إلى بيت اللّه الحرام ، وهو أهم الموانىء المصرية على البحر الأحمر ، وكانت ترد إليه مراكب الهند واليمن وتغادره بالإضافة إلى مراكب الحجاج الصادرة والواردة. وقد ظل هذا الميناء طريق الحج الوحيد إلى مكة لفترة زمنية طويلة يقول المقريزي في خططه "إن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب"، وكان الحجاج . كما وصف ابن جبير ، يقلعون في النيل من الفسطاط إلى "قوص" مارين بالعديد من المدن والقرى على ضفتي النيل . التي كانت تمتاز بكثرة أسواقها ومرافقها ، وكانت ملتقى الحجاج والتجار من مختلف الأنحاء. وهي رحلة كانت تستغرق ثمانية عشر يوما في النيل. وكان الحجاج يستريحون بعض الشيء في "قوص" . وهي مدينة تعد حاضرة ثقافية في مصر الإسلامية".انتظاراً لانتقالهم إلى ميناء عيذاب" على البحر الأحمر بعد أن يتزودوا بما يحتاجون إليه ، ويتجمعون في "المبرز" . قبلي قوص . وهناك يتم وزن أمتعتهم وأثقالهم لتقدر الأجرة عليها حيث تحمل أصحابها على ظهور الإبل حيث لا يمكن استخدام غيرها من وسائل النقل عبر الفيافي المقفرة التي تقل فيها المياه ، وكان أصحاب الجاه والثراء يركبون "الشقاديف" . وهي أشباه المحامل . وأحسن أنواعها اليمانية وهي مجلدة متسعة ، يوصل الاثنان منها بالحبال الوثيقة ، وتوضع على الإبل ، ولها ذراع قد حفت بأركانها ويكون عليها مظلة ، فيكون الراكب مع عديله في وقايه من لفح الشمس المحرقة خصوصاً وقت الهاجرة ، ويجلس في مكان أو يتكىء ، دون أن يشعر بالتعب ، ويتناول أحياناً مع عديله الطعام ، أو يقرأ في مصحف أو كتاب ، أو يلعب الشطرنج مع عديله إذا أحبا اللعب للترويح من عناء السفر. أما أغلب المسافرين فكانوا يركبون فوق الأحمال ، ويقاسون من ذلك كثيراً لشدة الحر الذي يشبه السموم.

وبعد الانتهاء من الإجراءات يقلع الحجيج من "المبرز" إلى "عيذاب" عبر الصحارى القفرة في حوالي ثمانية وثلاثين يوماً ، إذ تقطع الرحلة من "الفسطاط" إلى "عيذاب" في حوالي ستة وخمسين يوما ، نستدل ذلك من رحلة "ابن جبير" إذ سار من "الفسطاط" في السادس من المحرم سنة ٥٧٩هـ/١١٨٤م فوصل "عيذاب" في الثاني من شهر ربيع الأول من نفس العام. وعيذاب صحراء لا نبات فيها وكل ما فيها مجلوب حتى الماء. وأهل عيذاب كانوا أقرب إلى الوحش منهم إلى الإنس .على حد تعبير المقريزي . ويسمون "البجاة" وقد أغلظ في وصفهم "ابن جبير" بقوله "إن هذه الفرقة من السودان المذكورين فرقة أضل من الأنعام سبيلا ، وأقل عقولا ولا دين لهم سوى كلمة التوحيد ، التي ينطقون بها إظهارا للإسلام ، ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة ، وسيرتهم ما لا يرضى ولا يحل ، ورجالهم ونسائهم يتصرفون عراة إلا خرقا يسترون بها عوراتهم ، وأكثرهم لا يسترون ، وبالجملة فهم لا أخلاق لهم ، ولا جناح على لاعنهم" ، وبعد وصول الحجاج إلى عيذاب كانوا ينتظرون أياما صعبة لعدم توفر الغذاء الضروري لحياة الإنسان ، وإضافة إلى سوء أحوال الطقس ، والطبيعة القاسية في هذا المرفأ ، فهو كما وصفه ابن جبير "كل شيء فيه مجلوب حتى الماء ، والعطش أشهى إلى النفس منه ، فأقمنا بين هواء يذيب الأجسام ، وماء يشغل المعدة عن اشتهاء الطعام ،... فهي ماء زعاق ، وجو كله لهب ، فالحلول بها من أعظم المكاره التي حف بها السبيل إلى البيت العتيق ،... وما أعظم أجور الحجاج على ما يكابدونه لا سيما في تلك البلدة الملعونة ، وقد وصفت هذه المدينة في الخيال الشعبي بأن النبي سليمان بن داود عليه السلام جعلها "سجنا للعفاريت".

بعد تلك المعاناة التي كان يلقاها الحجاج في عيذاب يركبون الجلاب إلى جدة والجلاب هو نوع من المراكب التي كانت تسير في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، ومفردها جلبة ، وهي عبارة عن قارب كبير أو قنجة مصنوع من ألواح موصولة بأمراس ألياف النارجيل ، وقد أستعملها أهل مصر والحجاز واليمن في نقل الحجاج والأزواد. وكان الحجاج . كما وصف ابن جبير. يلقون الأهوال في البحر الأحمر من "عيذاب" إلى "جدة" بسبب عواصفه ، وكان ربان الجلبة الذي يسمونه الرائس يستدل على الطريق ببعض النجوم ، وكثيراً ما كانت تغرق تلك الجلاب في البحر ، كما حدث سنة ٥٨٠هـ ١١٨٥م عندما غرقت أربع منها وهلك حجاجها البالغون ألف وثلاثمائة حاج ، ويصل الحجاج إلى جدة بعد معاناة ثمانية أيام ، ويبدو أن عملية الرسو في ميناء جدة كانت بالغة الصعوبة وكانت تحتاج إلى مهارة خاصة من رؤساء الجلاب ، وقد وصف ذلك ابن جبير وصفاً يدل على الإعجاب بقوله : "ويصرفونها . أي السفن . خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان ، السلس القياد ، ويأتون في ذلك بعجب يضيق الوصف عنه.

وجَدّة على شاطىء البحر قرية أكثر بيوتها أخصاص ، وفيه فنادق مبنية بالطين أو الحجارة ، كان ينزل الحجاج فيها ، وبعضهم ينزل ضيوفاً على قائد جدة ، وكان نائبا عن أمير مكة ، ويسيء "ابن جبير" الظن بأهل جدة ويصفهم بالاستغلال ، ويفتى بحرمة ما يأخذونه من الحجاج ، يستوي في ذلك الأفراد والحكام. ويصف معاناة الحجاج حتى يسمح لهم بالوصول إلى "القرين" حيث يحرم الحجاج بالعمرة ويأخدون طريقهم إلى الحرم ، وهم يلبون من كل مكان وتبدأ الرحلة الروحية التي تزول في رحابها كل معاناة ويصف ابن جبير الليلة التي يقضيها الحجاج في القرين بقوله : فيالها من ليلة ، فهي عروس ليالي العمر ، وبكر بنات الدهر ، ثم يصل الركب إلى الحرم حيث الكعبة الشريفة ، والتي يصفها ابن جبير بأنها "عروس مجلوة مزفوفة إلى جنة الرضوان ، محفوفة بوفود الرحمن ، وتبدأ الرحلة المباركة حتى نهاية المناسك".[٣٩]

من فوائد طرق الحج:

لم تكن طرق الحج مجرد طرق سفر شاقة ، بل كان في بعضها محطات للتعليم والتواصل الثقافي والحضاري بين المسلمين ،يقول الدكتور عبد السلام محمد أبو سعد في هذا الصدد: "ومما لا شك فيه أن أغلب حجاج المسلمين لا يصلون إلى الأراضي المقدسة التي فرض اللّه الحج إليها .إلا عن طريق طرق مختلفة ومتعددة ، لا بد للحاج أن يسلكها حتى يصل إلى غايته.

وكان حجاج الغرب الإسلامي من الأندلس وشمال وغرب إفريقيا يسلكون طرقاً عرفت واشتهرت عبر التاريخ ، وقامت حولها دراسات

متعددة، وأبحاث مختلفة، أدت جملة من الفوائد عادت على المسلمين بالنفع العميم. فقد كان هؤلاء الحجاج يقفون خلال رحلاتهم بكل المدن والقرى التي يمرون بها خلال تلك الطرق، حيث يلتقي طلاب العلم بالعلماء، والصوفيون بأقرانهم، والصناع بالصناع، والتجار بالتجار، وكل ذي مهنة أو حرفة بمن يناظره فيها، فتتم الفائدة، ويعم النفع، وتعقد الصفقات والاتفاقات، وقد يجد طلاب العلم ببعض البلاد علماء يمكثون عندهم حيناً من الزمن، يتلقون عنهم ما عندهم من علوم وقد يجد بعض العلماء بعض البلاد في حاجة إلى التعليم ونشر الوعي، فيمكثون بينهم وقتاً، يعلمون، ويؤسسون المدارس والزوايا، والأمثلة على ذلك كثيرة تزخر بها كتب الرحلات والطبقات وتراجم الرجال.

من أجل ذلك اكتسبت الرحلة في طلب العلم والحج أهمية كبرى، حتى صارت تعادل أكبر الإجازات والشهادات التي يحصل عليها العالم أو طالب العلم، وحتى صار من ليس له رحلة يُعد علمه قاصراً، وإذا رجع الحجاج من العلماء إلى بلادهم سارع العلماء وطلاب العلم إليهم، ليأخذوا عنهم ما عادوا به من علوم وسنن وآثار، وليستمعوا إلى مشاهداتهم وأوصافهم للبلاد التي مروا بها، حيث يتولى هؤلاء الحجاج من العلماء خاصة. وصف ما وقفوا عليه من عادات وتقاليد أهالي البلاد التي يمرّون بها، وما تزخر به بلادهم من معالم تاريخية ونظم حضارية، وعادات وتقاليد وأعراف، ولعل في رحلات عبد الملك بن حبيب وبقي بن مخلد، وأبي الوليد الباجي، وابن رشد، والعبدري، والعياشي، والورثلاني، الثنيء الكثير من ذلك.

ولا ريب أن ذلك يعد من أهم العوامل على التقريب بين الشعوب الإسلامية ومن أهم الأسباب المساعدة على وحدة الثقافة، والفكر، ووحدة التشريع ... فبالرحلة يقترب المشرق من المغرب، ويقف طالب العلم المغربي على ما عند المشارقة من سنن وآثار وعلوم، ربما لم يكن وقف عليها من قبل، كما يقف طالب العلم المشرقي على ما عند المغاربة من علوم وآثار وسنن. ربما لم يكن على علم بها، فيصير العالم الإسلامي أشبه بالبلد الواحد ... ولولا الحج، ولولا الرحلة إليه لم يكن شيء من ذلك ليحدث".[٤٠]

والخلاصة أن طرق الحج مرت بمراحل كثيرة من التطوير والتعديل عبر التاريخ، وقد حاول الخلفاء والأمراء عبر التاريخ خدمة هذه الطرق بشتى السبل الممكنة، وذلك من باب التقرب إلى الله تعالى من جهة، وخدمة لشعوبهم ورعاياهم من جهة أخرى، وكانت هذه الطرق كشرايين حياة تصل المدن الإسلامية بقلبها النابض أم القرى، تلك المدينة التي أمدت العالم بقيم الحضارة والتقدم والسمو، ودفعت بالإنسانية شوطا بعيدا في ميدان التحرر من أغلال العبودية لغير الله رب العالمين.

النتائج والتوصيات

النتائج:

أولاً: مكة بلد بالغ الأهمية لأسباب دينية واقتصادية، واجتماعية وسياسية، وجغرافية وإنسانية وأدبية.

ثانياً: انفردت مكة بمجموعة من الخصائص الاستراتيجية لم تشاركها فيها أية بلدة أخرى.

ثالثاً: كانت هنالك كثير من المشكلات في الوصول إلى مكة عبر التاريخ، ولكن هذه المشكلات تبددت في العصر الحديث.

رابعاً: كانت هنالك مجموعة من الطرق البرية والبحرية للوصول إلى مكة، وكان يجري لها ترميم وإصلاح كل فترة من الزمن.

خامساً: مكة كانت ولا تزال في سويداء كل قلب مسلم، يهيم بها حتى ولو لم يرها مثل الفاتح صلاح الدين الأيوبي الذي شغله الجهاد عن الحج.

التوصيات:

أولاً: ضرورة الاهتمام بمراكز البحث العلمي في العالم الإسلامي.

ثانياً: أهمية تعميق الصلة بين البدان الإسلامية.

ثالثاً: تفعيل دور مكة الحضاري من أجل استعادة دور المسلمين.

رابعاً: إن بلداً تلك بعض مزاياه وخصائصه خليق أن يهتم به الباحثون، فهو يمثل خلاصة الحضارة الإنسانية على مر التاريخ!.

والله من وراء القصد، وندعو بهذا الدعاء: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (سورة البقرة: الآية ٢٨٦).

الهوامش

١ - انظر: موقع منتديات التعليم الثانوي في الجزائر على الرابط:
http://zbac.mam9.com/montada-f12/topic-t71.htm
٢ - مشكاة المصابيح ، (٢/٧٩٦).
٣ - المستطرف ، للأبشيهي ، (١/٢٢)، مكتبة الحياة.
٤ - انظر: المستطرف ، (١/٢٢)..
٥ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص (٥٦٢)، دار المعارف.
٦ - أسرار البلاغة ، للجرجاني ، بتحقيق هـ ريتر ، ص (٢١)، دار المسيرة ، بيروت.
٧ - مختارات البارودي (٤ / ٣١٥).
٨ - مالك بن طوق التغلبي ، ولي إمرة دمشق للمتوكل ، وهو الذي بنى الرَّحبة على الفرات وإليه تنسب ، ت (٢٥٩). معجم البلدان (٣/٣٤) . .
٩ ـ مختارات البارودي (١/٣٠٩).
١٠ - السِّماكان: نجمان نيّران ، أحدهما في الشمال وهو السِّماك الرامح ، والآخر في الجنوب وهو السِّماك الأعْزَل.انظر: اللسان (سمك).
١١ - الكشاف (١/٣٨٩).
١٢ ـ مختارات البارودي (٢/١٥٩).
١٣ - العَقُوة: الساحة وما حول الدار. اللسان (عقا).
١٤ ـ مختارات البارودي (٢/٢٨٤).
١٥ - المستطرف ، للأبشيهي ، (١/٢١)، مكتبة الحياة.
١٦ -انظر أيضاً: قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها ، د. زغلول النجار ، ص (١٨٠)، دار نهضة مصر ، ط٢ ، ٢٠٠٦م.
١٧ - هذا المبحث في الأصل مقالة بعنوان: من خصائص البلد الأمين ، نشرتها في مجلة منار الإسلام ، عدد ذي الحجة(٣٤٨)، ١٤٢٤هـ.
١٨ - أصول الفقه ، لأبي زهرة ، ص (٣٣٦-٣٧٣)، دار الفكر العربي..
١٩ - تفسير أبي السعود ، (١/٣١)..
٢٠ - تاريخ الأدب العربي (٤)، العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، ص (٤٢)، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.
٢١ - إحياء علوم الدين ، (١/٢٧٣) المكتبة التجارية الكبرى.
٢٢ - الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، للدكتور عبد العزيز الشناوي ، (٣/١٣٣٠)، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م.
٢٣ - المرجع السابق ، (٣/١٣٣١).
٢٤ - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ص (٢٧-٢٨)، نشر مكتبة السنة المحمدية ، ١٩٥٦م..
٢٥ - انظر: محمد بن عبد الوهاب ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص (١٥-٢٠).
٢٦ - تاريخ البلاد العربية السعودية ، د. منير العجلاني ، ص (١٦٩). طبعة دار الكتاب العربي.
٢٧ - انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي ، (١/ ٢٥٩-٢٦١ ، ٢/٤٤٧-٤٥٧) دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٢م.
٢٨ ـ مختارات البارودي (٤ / ٤٣٦).
٢٩ - انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي ، (٣/٩٤١).
٣٠ - انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، (٣/٩٥١).
٣١ - انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي ، (/٢٦١).
٣٢ ـ مختارات البارودي (٤ /١٠٣).
٣٣ - المهمه: المفازة البعيدة ، أو التي لا ماء بها ولا أنيس.
٣٤ - انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، (١/٤٠١).
٣٥ -انظر موقع وزارة النقل السعودية على الشبكة العنكبوتية ، فقرة إصدارات الوزارة ، الكتاب المئوي:
http://www.mot.gov.sa/default.asp
http://www.mot.gov.sa/L_HandradBook.asp
٣٦ - ما تقدم مقتبس من موقع وزارة النقل السعودية على الشبكة العنكبوية ، فقرة إصدارات الوزارة ، الكتاب المئوي.
٣٧ -انظر موقع وزارة النقل السعودية على الشبكة العنكبوية ، فقرة إصدارات الوزارة ، الكتاب المئوي:
http://www.mot.gov.sa/l_HandradBook_First_3_A.asp
٣٨ -انظر: طرق الحج : جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب ، مقال: (طرق الحج وفوائدها مقترحات بشأن إحيائها وتفعيلها) د. عبد السلام محمد أبو سعد ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . إيسيسكو . ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م
٣٩ -انظر: طرق الحج : جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب ، مقال: (طرق الحج وقوافله: في التاريخ الثقافي) د. محمد كمال الدين إمام ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .إيسيسكو .١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م
٤٠ -انظر: طرق الحج : جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب ، مقال: (طرق الحج وفوائدها مقترحات بشأن إحيائها وتفعيلها) منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .إيسيسكو .١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- إحياء علوم الدين ، للغزالي ، المكتبة التجارية الكبرى.
٢- أسرار البلاغة ، للجرجاني ، بتحقيق هـ ريتر ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٣- أصول الفقه ، لأبي زهرة ، دار الفكر العربي..
٤- تاريخ الأدب العربي (٤)، العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.
٥- تاريخ البلاد العربية السعودية ، د. منير العجلاني ، طبعة دار الكتاب العربي.
٦- تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
٧- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي النيسابوري ، دار المعارف.
٨- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، للدكتور عبد العزيز الشناوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م.
٩- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٢م.
١٠- طرق الحج : جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .إيسيسكو .١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١١- قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها ، د. زغلول النجار ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٦م.
١٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود ابن عمر الزمخشري ، صححه مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٣- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٤- محمد بن عبد الوهاب ، أحمد عبد الغفور عطار.
١٥- مختارات البارودي ، من شعر بني أمية وبني العباس ، للشاعر الكبير محمود سامي باشا البارودي ، نشره الأستاذ إبراهيم أمين فُودَه ، ضمن مشروع المكتبة الجامعة ، رقم (٢)، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٦- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق محمد حامد الفقي ، نشر مكتبة السنة المحمدية ، ١٩٥٦م.
١٧- المستطرف في كل فن مستظرف ، للأبشيهي ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ٢٠٠٣م.
١٨- مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، ت: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٩- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، د. ت.

ثانياً: المصادر الإلكترونية:

http://www.mot.gov.sa/default.asp
http://www.mot.gov.sa/L_HandradBook.asp
http://www.mot.gov.sa/l_HandradBook_First_3_A.asp
http://zbac.mam9.com/montada-f12/topic-t71.htm